العدد الثاني

(تموز) ١٩٥٩

السنة الثانية



مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

كلمة :

سيادة الاستاذ رياض المالكي

وزير الثقافة والارشاد القومي للاقليم السوري

التي القاها في مهرجان فرحات

أيها السيدات والسادة :

أيها الشاعر الكبير :

بالأمس القريب كرمت الجمهورية العربية المتحدة الشاعر القروي الاستاذ رشيد سليم الخوري واليوم تكرم رفيقه الشاعر الكبير الاستاذ الياس فرحات . وانها لغبطة كبرى أن تتاح لها خلال فترة قصيرة هذه الفرصة الغالية ، فرصة اللقاء بشاعرين عربيين فذين كانت حياتهما دائماً حنيناً الى الوطن وكفاحاً مستمراً في سبيله . وانها لفرصة حقاً أن تؤوي العروبة في أضلعها قلبين وفيين طالما خفقا لها من بعيد . ونحن اذ نكرم اليوم الاستاذ الياس فرحات ، فاننا لا نكرم شاعراً مبدعاً مجدداً فحسب ، وانما نحتفي الى هذا بالانسان الكبير الذي عرف ان يوحد بين شعره وحياته ، فجاءت حياته صورة صادقة عن شعره ، بل قل جاء شعره مرآة صادقة عن حياته ، على حد تعبيره هو نفسه . لقد كان صادقاً في أحاسيسه ومشاعره صدقه في سلوكه . ولم يهن ولم يلن ، ولم يتنكب طريق النضال المستمر في سبيل ايمانه بقوميته وبالوطن العربي الكبير . ومضى في نهجه دون أن يبالي بالاشواك تملأ دربه الشاق الوعر ، واهتز وتر قلبه لكل حادثة وقعت في وطنه العربي ، ورافق نضال هذا الوطن خطوة خطوة ، وسجل افعال المخلصين له ، وثار على المقصرين المتآمرين . بل لقد بلغ به حرصه على الكفاح في سبيل حرية أمته وخلاصها من مستعمريها وأدوائها الاجتماعية ان انكر على رفيق جهاده المرحوم شفيق عماد ميتته ، كأنما يرى ان معركة العرب لا تسمح للمناضلين حتى بالموت المبكر .

فعل هذا كله وهو المناضل في سبيل العيش ، المكافح في طريق الرزق ، المصارع نوب الايام . لقد عرف ان يمتاح من حياته القاسية ارقى المعاني الانسانية وأنبلها وان يزداد صلابة في الحق وجرأة في القول وصدقا في الكفاح وحنيننا الى الخلاص .

ايها الشاعر الكبير

لطالما حننت الى الوطن ، بل لقد كنت فيه دائماً في حلك وترحالك ، ولم تفارقه حتى في غربتك ، كما قلت يوم وصولك وهاجرت منه ((وقلبك فيه لم يزل)) على حد قولك . بل لقد حلمت بالعودة اليه في شعرك ويممت شطره في رحلاتك الثلاث التي تخيلتها في ديوانك . وخشيت ألا تمن عليك دار العروبة بلقيا تسترد بها فجر الشباب . ولكن العروبة لم تمن عليك بهذا بل أنت الذي مننت عليها به اذ لبيت دعوتها ، وعدت الى أهل وأخوان يتشوقون الى لقاك .

لقد رفعت هامك دوماً وكانت جذورك مطمئنة في ثرى أمتك ، وان أردت في شعرك غير هذا فطب مقاماً في ارضك وبين بني عشيرتك الذين يعتزون ويفاخرون بك .

سيداتي سادتي :

ان شعراء وأدباء المهجر هم خير تعبير عن اصالة العربي وقدرته على الابداع والخلق ، وحفاظه على روحه وتراثه . وان مما يزيد الأمة ثقة بنفسها وانسانيتها أن يغادر أرضها فتية في عمر الزهر ، لم يلقوا فيها الا الظلم والجور ، ولم ينالوا من ثقافتها الا الزاد اليسير ، فاذا بهم في غربتهم خير الدعاة لها ، الحملة لثقافتها الذاكرون لخيرها وعهودها .

وما تكريمنا لهم الا تكريم للعزة القومية التي تأبى أن تهون ، والنفس الأبية التي تعرف أن تبدع لأمتها أنى كانت ، وللطبع العربي الذي يقدم بصدقه وأصالته زاداً انسانياً خالداً .

الياس فرحات الشاعر الصادق

بقلم :

عبد الله عبد الدائم



لا أدل على أصالة العربي وعمق منازعه القومية والانسانية من شعراء المهجر .. نزحوا عن أوطانهم الحبيبة صغاراً ، ولما يحملوا منها كل زادهم من الثقافة والمعرفة ... وأقبلوا على حياة غريبة جديدة ، يكدحون فيها طلباً للرزق ، ويركبون الصعب انتجاعاً للمأوى ... ولكنهم عرفوا مع هذا وذاك أن يجعلوا من جمال بلدهم الجديد مناسبة لتذكر روعة وطنهم الاصلي ، وعرفوا أن يصوغوا من عنائهم ونصبهم معاني شريفة وأحاسيس انسانية فاضت شعراً محنكاً رائعاً ..

يغادر الياس فرحات « كفر شيما » وهو بعد في عمر الزهور . يحمل في عينيه صور لبنان ، ويلفلف في أذنيه أنغام تربته ونهره وشجره ، ويعتصر في قلبه مآسي الشام والعروبة . لا يعرف من القريض الا زجلا كان ارتضعه من دكان الزجال الشهير أمين أيوب ومن دكان القوال الياس الفران .. ولا يملك من التجارب الا تلك المآسي السوداء التي شهدها في بلاده المغلوبة على أمرها ...

ويمضي الى المهجر ، يطوي الاميال تلو الاميال ، وينتقل من بلد الى بلد ، دون أن يبسم له الدهر ، أو تهادنه صروف الايام . . يغرب « خلف الرزق وهو مشرق » ، ويطوى الأصقاع ويداب ، و « يبيع ويشري مرغماً ويساوم » ، ويتحمل وحده « مصائب يودي بعضها بفريق » .. فلا تلين له قناة ، ولا ينسى قيثارته ، ولا يحطم كمانه ، ولا ينأى عن وطنه وعروبته ، بل يتفجر أساه ثورة ، وتتفتق غربته ووحشته أنساً بالشعر وبمعاني الشعر ..

يقولون عمن أخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر
فقلت أخذت القريض صبياً
عن الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفي عليل البشر
وعن زفرات المحب الاديب
يزاحمه الموسر المحتقر
لئن كنت لم أدخل المدرسات
صغيراً ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات
وذا الدهر أستاذها المعتبر

وهل تعرف أن تصوغ الشعر والفكر من الحياة الا النفوس الاصيلة الكبيرة ؟ وهل تعرف أن تتخطى حدود النسبي الضيق الشاق ، لترقي الى مطلق الشعر وسامي النظم ، الا القلوب العامرة التي تفجر من كل شيء حياة وترى في كل وجود وحياً ؟

ان من حق الياس فرحات أن يسائل مشككاً :

وهل يستقيم النظم والنثر لامريء
يبيع ويشري مرغماً ويساوم
ومن ذا الذي يمسي على اللفظ حائماً
وفي صدره هم على القلب جاثم

غير أن من حقه أن يجيب على تساؤله قائلا :

ووالله لولا فطرة ما لدفعها
سبيل لأنستنا الهجاء اللوازم

ذلك أن النفوس الأصيلة المفطورة على عظائم الاحاسيس لا تزيدها نوب الزمان الا صلابة وقوة ، وهي وحدها ال[...] تعرف أن تصوغ الفقر والتشرد والالم دفاعاً عن حقوق الفق[...] ونضالا في سبيل المتشردين وثورة على الآلام ..

ان الطبع الصادق يستطيع أن يولد المعاني الانساني[...] من البشاعة والسواد والفوضى . وطبع الياس فرح[...] يتصف أول ما يتصف بالصدق والبعد عن الزيف . لق[...] كان صادقاً في حياته كما كان صادقاً في شعره ، [...] يداخل قلبه وعقله أي ذماء من تمويه أو تدليس .

انه القائل :

واذا الكلام مهذباً لم يقترن
بالصدق كان بضاعة الثرثار
والصدق يبرز في المحافل عارياً
والكذب لا يكفيه ألف ستار

وهذا الطبع الصادق هو الذى غذاه دوماً بالكرام[...] والاباء ، اباء العربي الشامخ ، فكان غنياً عن الناس ،

أحلك أيامه ، وكان أنوفاً أنف الحرة « تجوع ولا تأكل بثدييها » :

و «هو» الذي لو مات من ظمـأ
ورأى قـذى في المـاء لم يرد

أليس القائل عن نفسه وعن قومه :

نحن الـكرام الاسخياء بمالنا
لكننـا بابائنا البخـلاء ؟

وهل تستطيع الحياة أن تستعبد حراً وهل تقوى صروف الدهر على مذلة العزيز ؟ ومن هذا الصدق في الطبع ومن هذا الاباء في الطبع ، جاء شعر الياس فرحات صورة صادقة عن حياته ، يعرض فيه ، في أمانة واخلاص، لوحة حية أمينة فيها فهرست أعماله وسجل ما بلى وأصاب .

ومن هنا كنا نجد في شعره تعبيراً عن واقع قلما عني به الشعراء ، وظفرنا بوصف قلما نظفر به لدى أصحاب القريض . ظفرنا بتلك الصور الجميلة عن حياة الفقر والكد ، عن حياة العمل والعمال . فالشاعر يحدثنا عن فقره الذي ولد معه :

وليس فقري طفلا عمره سنة
لكنه توأمي لما نموت نما

ويحدثنا ، ولكن ما أروع ما يحدثنا ، عن ثوبه الجديد

الهـي تضن علي بثـوب
وتكسو الغصون ثياب الورق
ولو كنت غصناً لجددته
متى ما بشير الربيع انطلق
ولكن أرى دون تجديده
غيوم الأسى وسيول العرق

ويحدثنا عن مركبة النقل التي جلس الى حوذيها يحمل فيها صناديق يبتغي بيعها . وهو في وصفه هذا يولد صورة رائعة من صور العمل ، يسكبها في أسلوب شعري طلي :

ومركبة للنقل راحت يجرها
حصانان محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء شدها
غرابيل أدعى للوقار وانسب
جلست الى حوذيها ووراءنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب

بل يصف لنا قصته مع صاحب النول الذي اشتغل عنده ، وعن أجره الذي نقص ، فيذكرنا بذلك الادب الحديث ، أدب العمال والمعامل ، الادب الذي يجعل من العمل لحنه الاول ، مادام فضيلة الانسان الاولى ..

يا صاحب النول كل
لحمي ولا تعتذر
اني الصديق الذي
مهما تسيء يغتفر
أنقصت من أجرتي
في ذا الزمان العسر
هل خفت أن أغتني
أم خفت أن تفتقر

ويلازم الصدق الشاعر في كل شيء ، فيصدق في وصف فقره كما يصدق في وصف حبه ، ونراه في غزله يروي مشاعره سافرة لا برقع فيها ، ويأبى الزيف والأقنعة ، ويدخل البيوت من أبوابها دون مواربه أو خداع . لا يخدع نفسه ولا يخدع غيره . يعري الحقيقة ، ويصف الاشياء مجردة عن « العلب المحفوظه » التي يحلها فيها الواصفون غالبا . وهل أروع وأجمل من هذه الأبيات يصف فيها مأساته مع غواني تلك البلاد اللائي لا يفهمن شعره :

انا قضينا كل أيام الصبا يا جارنا
في غربة طالت فقصر طولها أعمارنا
نزجي لغير الفاهمات شعورنا أشعارنا

وجماع هذا كله أن جاء شعره واضحاً يلاصق فيه اللفظ المعنى دون أن يكون بينهما بون ، ودون أن تفصلهما مسافة . وحق لهذا الشعر أن يوصف بأنه السهل الممتنع. وحق له ان يكون من الشعر السائر الذي تتناقله الافواه وتسير به الركبان ..

انه حياة منسابة رخصة ، تسيل سهواً رهواً ، دون ما عنت وكلفة ، وتعبر عن أعمق معانيها تعبير من ملك قياد الاشياء وأطل عليها من عل ، وأشرف وأبصر ، فانقاد له العسير وذل الصعب .

ان شعري لصورة لحياتي
لا غموض فيه ولا تعقيد
لا كشعر يذيب قارئه المخ
ليدري من قاله ما يريد

فلا غرابة ان وجدنا شعره خمائل لا مجاهل ، على حد تعبير من قدم لديوانه ، ولا غرابة ان وجدنا عمق المعري وحكمته يأنسان الى ديباجة البحتري ووشيه الدقيق . ولا عجب ان ذكرتنا أبيات فرحات هذه بأبيات صنوه البحتري حين قال :

وبديع كأنه الزهر الضاحك
في رونق الربيع الجديد
ومعان لو فصلتها القوافي
هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن
به غاية المراد البعيد

وهلا نرى نفس البحتري ، ورقة حاشية البحتري ، وموسيقى البحتري في كثير من قصائد الوصف التي قالها فرحات ؟ وهل صلة القربى خفية لعين أو أذن في مثل قصيدة الارملة الحسناء ، أو الحمامة ، أو نسيم الصبا ، أو البلبل الصداح في القفص ؟

وقفت صباحاً على ربوة
يرصعها زهر زاهر

وللريح فيها تنفس بكر
أثار جواها هوى باكر

وهلا نمتاح من ديوان « الراعي » ذلك الوشي المنمنم ، الذي لم يقو عليه غير البحتري وابن الرومي ؟

وبعد ، أول الصدق ، الصدق مع الأم الكبرى ، مع الوطن . وأول الصراحة ، قولة الحق في معركة القومية ، والنضال في سبيلها . وهكذا كان الشاعر فرحات . انه مدين في شعره لوطنه قبل كل شيء : مدين فيه لربى ذلك الوطن ، وللحنين الى ذلك الوطن بعد فراقه . ومن هنا استطاع أن يصل بين الوجد لزهره والحقد على أعدائه، وأن يمزج بين عشقه وعشق جماله وبين ما تردى اليه بايدي ابنائه . يسحره ما فيه ، ويجذبه حسنه ، ولكنه ما يلبث حتى ينفر نفرة الليث ، حين يرى ما اقترف جلادوه من اثام وما ارتكبه بعض أبنائه من جرائم .

ان حال وطنه هذه هي التي أنطقته بالشعر :

أفكان يمكنني السكوت ولي
وطن اعز علي من ولدي
وأنا ابنه ألفيه منطرحاً
بين الذئاب مضعضع الجلد

كلا ، انه لا بد صانع من قوافيه سناناً حادة يرمي بها أعداءه ، ولا بد مجند يراعه في سبيل نصرته والنضال من اجل حريته ، ولا بد مفتت قلبه حتى يرى يومه الباسم .

ويخوض المعركة ، ويخادن فيها الصدق والصراحة شانه دائما ، ويلقى العنت من بعض الناس ، فما يهون ولا يلين :

الوحدة الكبرى لنا أمنية
حاشا لطلاب العلا أن ييأسوا

ويسير في سبل الصراحة حتى يبلغ وطنه أشده ، على حد قوله ، ولا يبالي قل عداته « أم أصبحوا كالرمل عدداً »

أننا ماضون في منهجنا
قلق الخوان أو مات العداة
أهون الناس علينا أعبد
يبذرون الشر فينا وغلاة

وتمتلىء قصائده باللوعة على وطنه وبالأمل في مستقبله . وينتصر فيها للمناضلين في سبيل العروبة ويحارب دون هوادة كل ممار فيها أو شكاك .

بل يبلغ به حرصه على الكفاح في سبيل حرية أمته وخلاصها من مستعمريها ومن أدوائها الاجتماعية وغيرها ، أن ينكر على رفيق جهاده المرحوم شفيق عماد ميتته المبكرة :

يا صديقي شفيق
اختصرت الطريق
لم تنجل المعركة
للعصبة المدركة

فلا استقل الوطن
ولا أمنا المحن

*

شفيق يا ذا الوداد
أفق فماذا الرقاد
أفي احتدام الجهاد
تنام هذا المنام ؟

ويثور لكل حادث في دنيا العرب ، ويردد شعره صدى كل مايطوف بعالم العروبة . فيثور ضد من خان معركة فلسطين ، ويثور ضد من أرادوا أن يحيوا فيها أمواتاً ويميتوا أحياءها ، ويثور على من يشكك في شأن العرب ، ويضج من هذه الدول الهزيلة التي انقسمت اليها أمة العرب والتي :

صارت جسوماً كالضرائر بعدما
كانت لجسم واحد أعضاء

ويحمل على الحكام والملوك الخونة :

ملوك ظنناهم صقوراً وعندما
غزينا رأينا صاحب التاج هدهدا
أباحوا لأجلاف اليهود جبانة
بلاداً أغار المجد فيها وأنجدا

ولكنه لايداخله من هذا كله اليأس ، بل يطل على مستقبل أمته اطلالة المؤمن بها الواثق من قدرتها على أن تنفض عن جسمها غلالة الكرى ، وتنضو عن اهابها سنة النوم ، ويكاد يرهص من سنوات بعيدة تقضت ، بظهور القائد الملهم الذي يجمع شمل العرب ، بظهور بطل العروبة جمال عبد الناصر ، يوحد العرب ولكن بذراعه لا بتاجه :

فياليت شعري هل نرى تاج يعرب
على رأس موهوب من العرب ملهم
يؤلفه مما تشتت قبله
وينظم فيه الدر غير المنظم

بل يكاد يقطع الزمن ويستبق الاحداث ، فيوجه الى سفاحي العراق هذه الابيات :

فان قتيل الظلم يقتل خصمه
بذي شطب عاص على الدهر لهزم
لقد قتل الباغي علياً ولم يزل
حسام علي في الهاة ابن ملجم
ومذ صلبت عيسى اليهود فانها
تقوم بأعباء الصليب وترتمي

ومن وراء هذا القتام كله ، يشهد الفجر العربي الكبير ، ويغني نشيد الوحدة العربية الكبرى :

من سفح لبنان الى سطح اليمن
قد عمت البشرى سهولا وفنن
وامتدت الافراح من بكر الزمن
مصر الى
أم العلى

البقية على صفحة ٩

عيد الجلاء

عيد الجلاء لكل عيد عيد ... تجديده لجهادنا تجديد
طربت صوارم يعرب لقدومه ... وتفردت فصليلها تغريد
ذكرت وقائع في الحواضر رددت ... أصداءهن مع الرياح البيد
لولا طلوع البيض من أغمادها ... كالزهر ما انجلت الليالي السود
لولا المطارق ما التوت وتحطمت ... للظالمين سلاسل وقيود
أزف الحساب فكل قول صادر ... عنهم وعن أبواقهم مردود
أزف الحساب فلا مقال لقائل ... الا الذي سيقوله البارود
أزف الحساب فلا نسيئة بعدما ... كذبت مواثق جمة ووعود
الصبر محمود اذا احترم الحمى ... فاذا استبيح فغيره المحمود
والحق تفقده السياسة والظبى ... تلقاءه فهو الضائع الموجود
يا أيها العيد السعيد تحية ... من شاعر يلقاك وهو سعيد
متفائل يهوى العروبة قلبه ... ورجاؤه برجالها معقود
في صدره منها عواصف كلما ... زادت عليها الحادثات تزيد
هذي بروق المجد لاح وميضها ... فتهيأوا ستلي البروق رعود
والسيل مندفع ستسقط دونه ... جدر بنين لصده وسدود



ووليمة النصر المطل من الذرى ... تحت السيوف خوانها ممدود
وثماره الحمراء ليس يذوقها ... الا جريء الأصغرين شديد
ولنحن أولى أن يكون نصيبنا ... حلواؤها والكأس والعنقود
فسنأخذ الحق السليب مضاعفاً ... والسيف قاض والرقاب شهود
وستعلم الدنيا ويعلم أهلها ... كيف الأسود عن العرين تذود
سيرى العدو الكون أصبح غيرة ... فالأرض نار والسماء حديد
والجو بينهما تكاد طيوره ... تمشيه فهو من الغبار صعيد
كن شاهداً يا عيد أن دماءنا ... لبلادنا كن شاهداً يا عيد
قسماً بأبطال العروبة أننا ... لسنا عن النهج السوي نحيد
قسماً بهم أن العروبة ديننا ... ما همنا التثليث والتوحيد
قسماً بهم ان (اللواء وأخته) ... منا وتين نابض ووريد
قسماً بهم ان الجزائر عندنا ... كالشام نهتف باسمها ونشيد
فمن المضيق الى الخليج يضمنا ... وطن على رغم العداة وحيد
ستزول ألوان المناطق كلها ... وحواجز منصوبة وحدود
ومع الدخيل المستبد جماعة ... منا تتيه بجهلها وتسود
تحيا بعصر النور باكية على ... عصر أذل النوق فيه ثمود
من لا يبيد عماية في قلبه ... وسخافة في رأسه سيبيد !
ما بال من حسبوا كباراً أصبحوا ... وجديدهم لعتيقهم ترديد
ما بالهم يتقيأون حديثهم ... عنا كما يتقيأ المعمود
يتآمرون على الشعوب كأنها ... نعم موسمة لهم وعبيد
يعدون أو يتوعدون وشأنها ... عن شأنهم في الحالتين بعيد
لا وعدهم يحيي لها أملا ولا ... يقضي على أمل لها تهديد
هيهات فالمسلوب منه يريد ما ... غير الذي يحمي اللصوص يريد
وضح الخداع وبان فالتز ـ ... مير والتخدير لاستعمارهم تمهيد



نزلت بنا النكبات من تدبيرهم ... العار والتقتيل والتشريد
غصبت منازلنا وكم من زاعم ... في الناس أن الغاصبين يهود
هذي كلاب الصيد كيف نذبها ... ونجل صياداً بهن يصيد
منهومة عجفاء أغراها بنا ... طمع الولي وحظها المنكود
الموت عاقبة الغرور فبشروا ... صهيون أن بقاءها محدود
قذفت الى نار الجحيم بنفسها ... ان الأشاعب للجحيم وقود
ستظل تمسك قلبها ما دام في ... أرض الكنانة قادة وجنود
سيظل طيف الموت نصب عيونها ... ما ظل يذكر في الشآم شهيد
ستضيع في لج العواصف جملة ... ويضيع في تدعيمها المجهود
ستموت حاملة صليب ذنوبها ... والحبل حول خناقها مشدود
لا يأس في عيد الجلاء لمؤمن ... وكما أتت آلامنا ستعود

الياس فرحات

النجم فوق الغابة

قصة بقلم : **زكريا تامر**

يرحل النهار ساحباً خلفه شمسه الميتة ببطء يشير سأم نزار المضطجع على ظهره فوق سرير حديدي ضيق .. فأشواقه تواقة لرؤية سماء كبيرة سوداء مرصعة بنجوم متلألأة لا عدد لها ، وقد حاول مرة أن يعرف عددها فمنعته أمه من احصائها قائلة :

ـ من يعرف عدد النجوم .. يموت .

ويتململ نزار تحت اللحاف الذي يغطي نصف جسمه ، ويتطلع بعينين نصف مغمضتين الى قرد صغير محنط ، يجلس القرفصاء فوق سطح الطاولة القريبة .. ماداً ذراعيه الى الامام ببلاهة ومن عينيه تطل نظرة ماكرة ساذجة في آن واحد .

ويبتسم نزار بوهن اذ تذكر كلمات غسان أخيه الكبير حينما أهداه ذلك القرد قبل أيام ، فقد قال له :

ـ هيا يانزار .. تخلص من مرضك بسرعة .. عيد ميلادك بعد شهرين .. عندئذ ستكون هديتي لك دراجة .. دراجة ليست صغيرة .. بل دراجة كبيرة لأنك ستصبح بعد شهرين رجلا كبيراً .. سيصير عمرك سبع سنوات .. ما رأيك بهذا القرد الظريف .. هل أعجبك ؟ انه سيسليك أكثر من سميرة .

فصاحت آنذاك الاخت الشابة متصنعة الغضب :

ـ أسكت .. كيف تقارن أختك بقرد .. لسانك طويل جداً ويحتاج الى قطع جزء منه .

ثم تابعت بعد لحظة صمت موجهة كلامها الى نزار :

ـ هل تعرف اسم قردك ؟

فأجاب نزار بتردد بينما ترمق عيناه القرد بفضول :

ـ اسمه .. اسمه .. اسمه لوجي .

ـ ماهذا الاسم الغريب ؟

فقال نزار بثقة : هذا اسمه الحقيقي .

ونشأت منذ تلك اللحظة صداقة قوية بينه وبين القرد، وقال نزار للقرد عندما أصبحا لوحدهما في الغرفة :

ـ لوجي .. أمي لا تحبني .. أمي ماتت .. أمي الآن نجمة .

فقال القرد : لا تحزن يانزار .. كل الأمهات قاسيات .

وهكذا اعتاد الاثنان على الثرثرة مع بعض .

وتتسع ابتسامة نزار بينما هو مستمر في التحديق بوجه القرد المحنط القابع فوق الطاولة ، وترتعش أهدابه بوداعة قبل أن يقول متسائلا :

ـ لوجي .. من أين أتيت .. اليس لك بيت ؟

فقال القرد الصغير بصوت أرعشه التأثر :

ـ بيتي في الغابات البعيدة .. أنا جئت من هناك .

قال نزار : لوجي ..! أنا لا أعرف الغابات .

فتنهد القرد ثم قال :

ـ الغابات جميلة جداً .. انها كبيرة جداً .. هناك لا صقيع ولا حرارة شديدة .. الأشجار هناك طويلة جداً حتى أن رؤوسها تتحدث ليلا مع النجوم .

ـ هل يوجد في الغابات نجوم ؟

ـ النجوم هناك ليست متعجرفة خرساء .. نجوم الغابات لطيفة تحب التحدث مع الأطفال .. وأحياناً عندما تتعب النجوم تنزل من عليائها لتنام على فراش من ورق الشجر .

ـ لوجي .. خذني الى غابة .

ـ سنهرب معاً في أحد الايام .

ولاذ الاثنان بالصمت اذ دخل الى الغرفة في تلك اللحظة سميرة وغسان فاستقبلهما نزار بابتسامة عريضة .

وقال غسان وهو يجلس على مقعد خشبي قريب من السرير :

ـ كيف حالك اليوم يا نزار .. أنت في تحسن .. هذا عظيم .. قل لي .. هل ضايقتك سميرة ؟

فصاحت سميرة : غسان .. الا تكف عن التحرش بي .. هل تحب الشجار الى هذا الحد .

ويقول نزار وهو يشير بأصبعه الى أكورديون ملقى على الاريكة الطويلة :

ـ أعزف لي على الأكورديون ياغسان .

وأغمض نزار عينيه حينما بدأ أخوه بالعزف .. انساب لحن عذب مترجرج كمياه نهر رحلته طويلة .. فغادر نزار الغرفة رغم أن جسده ظل تحت أغطية السرير .. انه الآن في بساتين خضراء .. يمشي على مهل .. تقول له وردة حمراء :

ـ يا ولد يا ولد .. أنا عطشى .

ـ اشربي من النهر القريب .

ـ أنا عطشى يا ولد .. سأشرب من دمك .

يذعر نزار .. يركض مبتعداً عن مكان الوردة .. يصل

الى قصر ضخم شاهق الاسوار .. يطرق بابه الحديدي الكبير .. افتحوا افتحوا .. أنا تعبان .. ولكن الباب يظل مقفلا .. فيضطر نزار لأن يعاود المشي مرة ثانية .. مر أمام شجرة تفاح .. فأحنت له رأسها بوقار ـ كل أشجار التفاح مهذبات ـ وقالت :

ـ اني أدعوك يا نزار الى تناول شيء من ثماري .
فقال نزار وقد أفرحته كلماتها :

ـ أنت جميلة جداً وسخية جداً ياشجرة التفاح .. أشكرك .. أنا لست جائعاً .

قالت شجرة التفاح : الى أين أنت ذاهب يا نزار ؟

قال نزار بصوت متهدج وديع :

ـ اني أفتش عن أمي .. أمي في الليل نجمة .. وفي النهار تهبط الى الارض لتنام .

قالت شجرة التفاح : ان عثرت في طريقك على البلبل فقل له بأن صديقته شجرة التفاح حزينة وبحاجة الى غنائه .. هل صوتك جميل يا نزار ؟ .. غن لي .. أنا حزينة .

فأخذ نزار يغني مردداً : أمي أمي أمي .
فقاطعته شجرة التفاح متسائلة بشيء من الكآبة :

ـ أتحب أمك كثيراً يا نزار ؟

ـ أنا أحبها كثيراً .. ولكنها هي لا تحبني فقد ماتت قبل أشهر وتركتني وحدي .

ويتوقف غسان في تلك اللحظة عن العزف على الاكورديون ، ويهمس مخاطباً أخته الواجمة بلهجة أسيانة :

ـ نام نزار .. هلمي .. نغادر الغرفة دون ضجة .

فتطلعت سميرة الى وجه غسان بعينين حانيتين ، وودت لو تقول له :

ـ وجهك يا أخي يتحول الى قطعة من الحجر الحزين عندما تعزف على الاكورديون .. لا فائدة من العيش مع الذكريات .. انس نهلة صديقتي التي تزوجها غيرك .

وسمعته يقول بضيق : ماذا تنتظرين يا سميرة ؟
فاتجهت سميرة نحو الطاولة ، وتناولت القرد الصغير المحنط ، فسألها غسان :

ـ لماذا أخذته .. اتركيه في مكانه .

ـ هذا القرد يضايقني .. وأعتقد أنه يترك أثراً سيئاً على صحة نزار .. كثيراً ما أدخل الغرفة فأجد نزار يحدث القرد بصوت مرتفع .. سآخذه وأرميه في السقيفة .

ولم يمض وقت طويل حتى سمعت سميرة صياحاً باكياً ينبعث من غرفة نزار ، فأسرعت اليها فوجدت نزاراً يبكي بحرقة .

ـ ما بك ؟
فأشار الى الطاولة ذات السطح الخاوي وقال :

ـ لوجي سافر الى الغابات .. لم يأخذني معه .. لم يأخذني معه .

فقالت سميرة محاولة تهدئته :

ـ لا تبك .. لا تبك .. القرود أخلاقها سيئة .
ـ أريد أن أذهب الى الغابات .
ـ عندما تشفى من مرضك سأذهب معك الى الغابات .
ـ لن نخبر أحداً .. سنذهب وحدنا .
فابتسمت الاخت ، وقالت وهي تربت على شعره بحنو :
ـ سنذهب وحدنا .

ولم تكد تستدير نحو باب الغرفة حتى تجمدت في مكانها مرتجفة حينما سمعت نزار يجهش بالبكاء صارخاً بمرارة :

ـ أريد أمي أريد أمي .

دمشق ـ زكريا تامر

بقية المنشور على الصفحة (٦)

بغداد تستهوي المغاني والفلا
النيل والاردن والعاصي لنا
والرافدان العز فيها والغنى
تمنع حتى الطير عنها ان دنا
منها ولم
ينشر علم
للسلم انا أمة ترعى الذمم

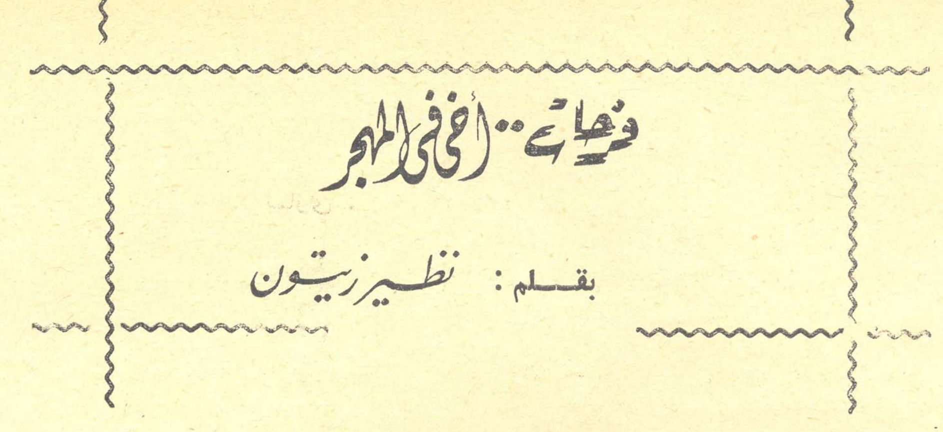
هذا هو الياس فرحات الذي تكرمه الجمهورية العربية المتحدة . انه شاعر الصدق ، شاعر العمل والحرمان ، شاعر النضال والمعركة ، شاعر الوحدة الكبرى . وعسير أن نلم في هذه العجالة بسائر جوانب شعره ، فهي أغنى من أن توفيها هذه الكلمة بعض حقها . وان ننس لاننسى رباعياته ، حيث الحكمة العميقة المنظومة في أسلوب لين شفاف ، ولاننسى موشحاته ولاننسى تجديده في العروض والقافية . ولا عجب فالصدق الذي صدر عنه قمين بأن يصهر كل شيء وبأن تنقاد له الهياكل وتتحطم أمام حرارته القوالب والسدود .

لقد حن الشاعر دوماً الى بلده ودياره ، وغناها وبكاها وناضل معها . وكم خشي ألا يلقاها :

دار العروبة دار الحب والغزل
هاجرت منك وقلبي فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا استرد بها
فجر الشباب فشمس العمر في الطفل

واليوم يعود اليها ، يعود الى اخوان له طالما تاقوا الى رؤية العينين اللتين نظمتا لآلىء شعره والقلب الذي فاض بمعانيه . وتضم الجمهورية العربية المتحدة اليها قلباً طالما نبض لها من بعد وطالما ارتقب أن يجد مستقره بين ضلوعها ؟ انها لسعيدة أن تلقاه ، كما لقيت رفيقه الكبير الشاعر القروي ، وأن يعود اليها بعد أن حققت جانباً من أمنياتها ، وبعد أن حملت سيف الحق والصدق الذي حملاه طويلا .

عبد الله عبد الدائم



فرحات.. أخي في المهجر

بقلم : نظير زيتون

كلمة المغتربين ، في تكريم شاعرهم فرحات ، وما عسى أن تكون كلمة المغتربين ، غير حبات من بخور الوفاء والازدهار ، تضوع في الفضاء وتضمخ القبة الزرقاء .

ما عسى أن تكون غير صلاة ودعاء . صلاة نرفعها الى السماء ، شكراً لله على فيض الآلاء ، وعلى نعماء الاستقلال والوحدة العربية الزهراء ، صلاة تطلقها القلوب والحناجر، وتنبعث من الضمائر والسرائر . صلاة نرددها على المحاريب والهياكل والمنابر . انا شهدنا البعث . انا شهدنا البعث بعبد الناصر ..

وانا شهدنا الفجر ، بالقائد الملهم الثائر ، وانا شهدنا جحافل القادسية واليرموك وحطين والقناة ، بجيشنا العربي الباسل الظافر .

وانا شهدنا انطلاقه المارد القاهر . ينفخ في صور الحياة ، فتهتز الدراري السواهر . متسائلات عن الحدث الرائع الباهر .

وانا شهدنا صانع التاريخ يمحو ما خطه القضاء العاثر . ويذهب الصفحات بالمآثر والمفاخر . ويرصعها بالفرائد والجواهر . فبوركت يد تلملم النجوم الزواهر ، وترشها نورا في الابصار والبصائر . وتجنحها مجدا لامه عريقة ارادت البعث الدافق الهادر ، تصوغه تاجاً على رأس كل عربي مؤمن ثائر ، وترميه شصاً في شدق كل متآمر ومائر ، وساحر وفاجر .

كلمه المغتربين لا وما عسى أن تكون كلمة المغتربين ، والمهرجان مهرجان شاعر المهجر ، غير حنين كوثري . وغير وجد عبهري ، وغير زهو عبقري . ما عسى أن تكون كلمه المغتربين غير انتفاضه العزه والكبرياء. بالوطن العربي الوضاء والام المشبل الشماء . والدوحه الباسقه الهدباء . دوحة العروبة الشامخة الأفياء . عرين الليوث والظباء . وينبوع البطولة والمضاء . ورفرف الوحي والانبياء ، ومهد الحرف والهجاء . ومنتجع الشعر والحكمة والرواء . وشرعة العدل والاحسان والاخاء .

وما عسى ان تكون كلمة المغتربين ، وتكريم شاعرهم تكريم لهم ، غير شموع متهللات وضيئات معندلات . يعربيات وفيات أبيات . جناهن الحب من بنات الحنايا ، لا من بنات الخلايا . واتخذت من صهوات الاثير مطايا . وقد أبت عليهن شم المزايا . وعراب السجايا ، الا أن يرسلن التحايا . هتافاً مجلجلا مدوياً رفاف الثنايا هتافاً بالامة العربية التي أيقظت الزمن ، وقد كان يغط نائماً في أجحاره وأوجاره .

هتافاً بالامة العربية التي نفضت عن الفكر عشاوة جموده وتهتاره . وحطمت من أنياره ، وحررت من أساره فتألق قبساً الاهياً يزحزح عن الكون حجاب أسراره ويرتاد أغوار المنظور وأحشاء غير المنظور في غزواته واسفاره . وانتفاضات أنواره . واذا العقل العربي ينبوع الاشراق في مداره . وسيد الابداع في تسياره . وكتاب الله في قراره .

هتافاً بالامه العربية التي خلعت على التاريخ حللا باذخة ضامخة . ووسامة ساطعة صارخه . وحلى زاهية شامخة ، يوم كان التاريخ مهزولا عرياناً يتعثر بأطماره . متبهنساً يتنزى بأنيابه وأظفاره .

هتافاً بالامة العربيه التي كانت للانسانية ظئراً . وللعلى صدراً . وللعلم بحراً . وللعدل فجراً . وللمكرمات زهراً وعطراً . وللحياة خمراً وسحراً . ولله تسبيحة وشعرا . وسيفاً ونصرا . ومحبة وبرا ....

نعم أيها السادة ، ما عسى أن تكون كلمة المغتربين في مهرجان الشاعر المهجري الذي شدا لأمته حنونا من وراء البحار وناجاها مفتوناً في الآصال والاسحار . وعاطاها نغوماً كؤوس الوفاء والذمار . وصاغ لها عقوداً من الشهبان تزري بالدر والنضار . وناضل في سبيلها بتاراً وأي بتار . ومغواراً وأي مغوار . واستوحاها في شعره الزهار . فاذا القريض زارة وفخار . وغناء واعصار . وعقيدة وشعار . واذا القوافي لحن متسعر الاوتار . وخيال مخضوضر الاقمار . متفاوح الازهار . مترنح الاطيار . نشوان المزمار ....

أجل ، ما عسى أن تكون كلمة المغتربين في هذا الموقف الجليل الحفيل ، غير ذكريات نضرات عبقات . سطع في الحنايا شذاها . وتردد في الجوانح صداها . وتأجج في القلب هواها ، وتهلل في الخاطر نجواها ، وتسامى بالنضال معناها ومرماها ومجناها ...

* * *

ولنرجع القهقرى خمسين أو ستين عاما يوم كان المهاجرون من سورية ولبنان قطعاناً بشرية يسوقهم السماسرة في بيروت الى البواخر الاجنبية ، يهربونهم تارة ، ويستشفعون لهم طوراً . ويسترخصون مرة .

وكانت موجات الهجرة تتعاقب وتتلاطم ، فلا يمر أسبوع حتى تطرح البواخر على شطآن العالم الجديد

شرقاً وغرباً شحناتها البشرية المستوردة نفسها من شرقي المتوسط ، وكأنها فسائل بشرية اقتلعها القدر من (المشتل العربي) وحملها الى أقاصي العالم ، يستنبتها في أرض غير أرضها ، وتحت سماء غير سمائها . ويالهفة القلب . يا لهفة قلب تلفت الى أولئك المهاجرين المغامرين وقد أدركت البواخر أسياف العالم الجديد ، وانتزعتهم من أجوافها وتركتهم على اليابسة ، وفي الثغور بسمات واجفات ، وفي الافواه كلمات مغمغمات . وفي العيون عبرات مشرقات . وفي الصدور عزائم ماضيات . وهمم متعاليات .

وكان أولئك الرواد الماهدون في معظمهم أميين وأشباه أميين ، وأشباه متعلمين ، وكلهم قبلتهم أميركة . أما اختيار البلدان والمدن ، فمتروك أمره للسماسرة وشركات الملاحة ، وبالتالي كانت الاقدار تتحكم في مصير هؤلاء المهاجرين ، فتسيرهم كما تشاء لا كما يشاؤون ، ماداموا يجهلون كل شيء ، من جغرافية أميركة الطبيعية والسياسية ، الى لغاتها وشرائعها وعاداتها . وكل ما يعرفون أنها بلاد تدر لبناً وعسلا وذهباً ، وان استدرت عرقاً ودماً ونصباً .

فالهجرة السورية واللبنانية الى العالم الجديد ، كانت مجازفة خارقة محفوفة بكل ما يروع القلوب . لا أعرف في كل ما طالعته من أوابد المجازفات الجماعية ما يعارف هذه الهجرة العربية الى العالم الجديد في العهد العثماني . انها اسطورة عملاقية لم تسجل تواريخ الشعوب في كل أحداثها ، أسطورة أروع وأدعى الى الدهشة والاعجاب من هذه الاسطورة المجنحة التي تقمصها المغترب العربي . المغترب الشجاع الألمعي ، الذي طار جادفاً مقصوص الجناح ، وغزا ظافراً ولا رماح ، وفتح بعصاميته ومضاء عزمه . وحصانة خلقه وحزمه . وطموحه وحلمه . وبجلد جليد على احتمال الشدائد المرهقات . ومكافحة العناصر المستعديات . نعم ، فتح وهو الفقير المهزول مادة ويدا . أبدع الفتوحات العمرانية والحضارية ، وشيد في مهاجره النائية حيث لا حكومة ترعاه وترافده . ولا مؤسسات وشركات تؤازره وتسانده . وتشق له طريق النجاح وتعاضده . شيد في مهاجره القصية ، وهو النكرة الاعزل ، الا من صدر وقاد ، وزند شداد ، وعزم مداد ، دولة رفيعة العماد . باذخة الامجاد . راسخة متعالية كالاطواد . دولة تعفو على أماني المتمني . ومعارج المتغني ، دولة زهراء شماء تشرئب اليها الاعناق اعجاباً وتعظيماً . وتسجد الابصار تكريماً وتفخيماً ، وحسبها اليوم مجداً أنها امتداد لوحدتنا عبر البحار وشراع لجمهوريتنا . ومعجزة تاريخية من معجزات عصاميتنا . وآية رائعة من آيات بنائنا وعبقريتنا .

انها أيها السادة دولة العروبة التي شيدها أولئك الرواد الماهدون ، الاميون وأشباه الاميين واشباه المتعلمين الذين تحدر من اصلابهم ويا للفخر ، ألوف وألوف من أعلام العلم والثقافة والعرفان . والسياسة والعمران ونباهة الشأن . انها دولة العروبة التي اختالت راياتها خفاقة فوق الجبال والسهول ، والدساكر والحقول . وارتمت ظلالها على كل قرية ومدينة وعاصمة . حتى المجاهل الساشعة الشموس التي استعصت على الانسان والعمران ، رادها ذلك المهاجر العربي الشجاع وذللها وراضها . وهدهدها بحنانه الريان ، وحمل اليها رسالة الحياة والعرفان . وكأن في جوانحه ضراما من صقر قريش ولألاء من ملوك غسان ....

* * *

واسمعوا أيها السيدات والسادة هذه القصة التي رواها الرئيس الاميركاني تيودور روزفلت وقد كان مغرماً بالصيد والكشف عن المجاهل ، فبعد انتهاء رئاسته في عام ١٩٠٩ نظم رحلة الى الادغال البرازيلية البكر وأوغل فيها يقتنص ضواري السبع وجوارح الطير ، وعندما توسط هذه الغابات العذراء العطشاء ، شاقه ان يدون على لوحة معدنية خبر وصوله اليها . وبعد ما علق الصفيحة التذكارية على شجرة ضخمة ، وقد ترنحت أعطافه زهواً وكبرياء ، اذ ارتاد أرضاً لم تطأها قبله قدم بشرية ، اذا أحد أعوانه يدفع اليه صفحات من جريدة غريبة الحروف عثر عليها بين الاعشاب الكثيفة . فذهل روزفلت عندما رآها وبعدما تأملها ودقق فيها عرف من بعض الحروف اللاتينية انها جريدة عربية تطبع في سان باولو البرازيل ، اسمها (الافكار) التي كان يصدرها المرحوم الدكتور سعيد ابو جمرة ...

وعندئذ هز الرئيس روزفلت رأسه حزيناً وأمر بانتزاع الصفيحة التذكارية قائلا : ان (التوركو) سبقنا الى هذه المجاهل وأضاع علينا مجد السبق والاكتشاف.. وجدير بنا أن نحيي فيه البطولة والطموح ....

والتوركو ، أيها السادة ، هو اللقب الذي كان خصومنا الاوربيون ينبزون به أبناء العرب المهاجرين . كانوا يطلقون عليهم هذا اللقب البغيض من باب الازدراء والتحقير . طرق مسامعهم للمرة الاولى على متون البواخر التي ركبوها الى العالم الجديد .

كان المهاجرون السوريون واللبنانيون يقضون أيام السفر حول أسرتهم في أبهاء جوفية واسعة أو على ظهر الباخرة يستقبلون الشمس أو يودعونها ، وفي الليل يناجون القمر ويمرحون ، وقد أرسل أشعته الأنيسة تملأ الارض جمالا وجلالا ، والنفوس دفئاً وحناناً .

وكان الشعور بألم الفراق والغربة وارتياد المجهول مشتركاً بينهم . الذكريات تنطلق تنهدات وتجري عبرات مرتعشات ، في عيون ذاهلات حالمات ، وتستعر زفرات مترنحات متاودات ، ما رأيت أحنى على الحب من ضلوع متلهفات ، على زغلول خفاق قلق النبضات يرسل زقزقته أنفاساً ملتهبات ، وخلجات متوسلات . وعندئذ ، في زحمة الانفعالات والتجربات ، يتأوه القصب. وتنتفض أوتار العود ، ويشهق الكمان ، وتهمهم الدربكة ، ويدندن الزغلول المرتعش ، فاذا الميجانا واذا العتابا ، واذا الموال ، وسائر الأغاني الشعبية الاصيلة .

وكان المهاجرون الاجانب من أبناء الجنوب الاوروبي ،

ينظرون اليهم ساخرين هازئين ، ثم يصرخون مستفزين : توركو .. توركو ....

ولم يكن هذا (التوركو) جباناً فينام على ضيم . هرب من التوركو في بلاده فتبعه هذا التوركو بأفواه المتعصبين الاروبيين .

وكان بدهياً بعد هذا أن تنشب المعركة بين المهاجرين العرب والمهاجرين الاروبيين ويا لله ما أصدق صوت العرق والارومة ، لقد نسي أبناء العرب تكتلاتهم الاقليمية والبلدية والطائفية وهبوا صفاً واحداً يدفعون التحرش الاجنبي وينافحون عن كرامتهم القومية .

لكل مهاجر من القدامى قصص وأحاديث حول هذه المشاجرات العنصرية التي كانت تتكرر بصورة مستمرة في أغلب البواخر ، فما انقطعت الا بعد الحرب العالمية الاولى .

***

وشكراً أيها السيدات والسادة لأولئك الاروبيين المتعصبين . لقد علمونا نحن المغتربين عندما كان الشرق يتخبط في دياجير التعصبات الطائفية ، لقد علمونا الحروف الاولى في أبجدية القومية ....

ثم تلقينا في مهاجرنا الاميركية أبلغ الدروس في الوطنية وحب الوطن والدفاع عن كرامة الوطن . تعلمنا أن الاوطان لا تبنى على اقطاعية الدمى والاوثان ، ولا على الطائفية والتكتلات المذهبية ، وانما تبنى على القومية ، وأبجدية المساواة الاخوية . وعلى البطولات المثالية ، والانطلاقات العلمية والاجتماعية والانسانية .

كانوا يحتفلون بأعيادهم الوطنية ، ويستعرضون معاركهم الاستقلالية وانتصاراتهم . ويتغنون بشهدائهم وعظمائهم وقادتهم ، وكنا أيها السادة نسير في مواكبهم ونصغي الى أهازيجهم وننصت لخطبائهم ، وقد استولى علينا شعور عميق مشبوب . شعور باليتم الوطني ، باليتم الجامح الظمآن ، وبالحرمان اللافح العريان . ولا أقول أنه كان ينتابنا شعور الحسد . كلا . فقد كانت صدورنا عامرة بالايمان ، حافلة بالرؤى الثائرة الالحان ، والآمال المتغضنة الاغصان ، وكأن في رياها نفحة من الجنان وبشرى تغمر الوجدان ....

لنا وطن جميل نبيل ، في تاريخ مشرق أثيل ، ولكنه رازح تحت النير العثماني ، ولنا دوحة هدباء شماء ، ولكنها مجزأة مبعثرة عصفت بها ريح الاستعمار والتخاذل والبغضاء وهذا اللقب البغيض – توركو – ينبزوننا به عن قصد أو جهل ، لا يزال يتبعنا ويتعقبنا ويعكس ظله الاسود على محاسننا ومفاخرنا ونحن في أقاصي الارض ....

وكانت معاركنا المادية والمعنوية شاقة عسيرة قاسية ، بيد ان معركتنا المعنوية ، معركة الكرامة كانت هدفنا الارفع . علينا أن نعرف الشعوب الاميركية بحقيقتنا وبوطننا الاصيل ، وبأمتنا العربية التي أنشأت أزهى الحضارات في الاندلس والبرتغال اللتين يمت اليهما أبناء أميركة اللاتينية بأقوى الوشائج السلالية واللغوية والثقافية . بلى وذهبنا الى أبعد من هذا .... سمعنا صوت الدم يهمس في مسامعنا تارة ومسامعهم أخرى ، ورأى كلانا وجه صاحبه في وجهه . ومناقبه في مناقبه، وبطولته في بطولته .

سمعنا خمسة آلاف لفظة عربية تأصلت جذورها في معاجمهم ودرجت على ألسنتهم .

سمعنا الحدو العربي في (الفادو) البرتغالي والبرازيلي ، وتنغيم زرياب الاندلسي في التانغو الارجنتيني .

ورأينا الجوشن العربي في فروسية (الغاووشو) البرازيلي والارجنتيني .

وأنصتنا الى صوت التاريخ يهيب بكلينا ويقول : ألا انكما نسيبان ، فما جدود هؤلاء الابناء الاميركيين ، الا من بقايا العرب الاندلسيين الذين صنعوا الحياة والعمران يوم كانت أميركة قارة خضراء بكماء . وخريدة عذراء لم تمسها يد ببناء وطلاء .

نعم من بقايا العرب الاندلسيين الذين أطلقوا على المدن التي أنشأوها أسماء مدنهم الاندلسية العربية ، لا أسماء المدن الاسبانية .

نعم من بقايا العرب الاندلسيين الذين زور ديوان التفتيش أسماءهم وأزياءهم ، ولكنه لم يستطع أن يزور دماءهم ، فرأى أبناؤه في المغترب العربي تلك الآصرة الحنانة النفاحة التي جمعت بين النسيبين المتباعدين ، فكان الحب وكان الاخلاص وكان للمغترب العربي منزلته العليا التي لا يدانيه فيها مغترب أجنبي آخر .

غير ان جوالينا التي وقفت صفاً واحداً في معركة الكرامة ، لم تلبث أن انشقت على نفسها في تيارات سياسية عنيفة دلت على تفاوت المفهومات الوطنية والاهداف القومية . فكانت المعارك الداخلية حامية الوطيس . فريق متعثمن ، وفريق انتدابي اتكالي ، وكلاهما عالج القضية الوطنية على ضوء الاقليمية والطائفية وشعوبية المدارس الاجنبية .... وفريق سبق الزمن فنادى بانفصال سورية الطبيعية واستقلالها ، قبل أن يبرز على مسرح السياسة الدولية ما يسمى قضية سورية . كما نادى بالدولة العربية التي كانت حلماً يتراءى من وراء الغيب لأصحاب الرسالات القومية ، لأولئك الانبياء الذين يرون ببصائرهم النيرة ما لا تراه العينان . ويحسون ما لا يحسه الا الوجدان ، والالهام الريان ....

ومن صميم هذا السعير السياسي النضالي . من صميم هذه المعارك الوطنية ، ومن صلب هذا اللهب الطهور . من أعماق ألسنة النار الحمراء العذراء التي نادت بسورية المستقلة ، وبالدولة العربية . من ضرام هذا الجمر المقدس الذي تساقط على رؤوس الاحرار العرب برداً وسلاماً . واكليلا من الغار ووساماً . انبثق الشاعر فرحات . كما تنبثق الشرارات في محاجر العاصفة ، والرعد في اصطراع الغيوم ، والزلزال في قهقهة الارض . والفارس المجنح في رغادة الاسطورة الحالمة .....

بلى ، وكأن الشاعر فرحات كان على موعد مع الأهبـاء في زمجرة الزوبعة ، ومع عمود النار في فوهة البركان . ومع شعاع الفجر في ولادة الشمس ، ومع أنفاس الربيع في فرحة الطبيعة . ونشوة الطبيعة وعطاء الطبيعـة العبقري .

* * *

برز الشاعر فرحات من صميم الشعب والوعي القومي والحركة العربية الاستقلالية في المهجر البرازيلي فكـان ذلك المناضل العنيد الأبي . وذلك الوطني الوفي . وذلك الصوفي السخي كما كان للعروبة صيدحها ورمحهـا . والقوافي فوحها وبوحها . تفجر في حناياه معين الشعر الصافي العـذب ، فكان لسانه الذرب . وكان للابـداع فتـاه الندب .

وآيتـه الكبرى أنه تسلق ذروة القريض وهو لا يعرف ما العروض ، ولا النحـو والصرف ، وحركـات الحرف . وجارى الفحول تحليقاً وتنميقاً وتزويقاً ، بملكة شعريـة أصيلـة . لا تتكلف ولا تتعمـل ولا تتصلف . بل تجري كوثراً من خمر . وتطل دفقة من فجر ، وأخذة من سحر ، وتتألق حرفاً من تبر ، وتحلق جناحاً من نسر .

* * *

وآيـة فرحـات ورفاقـه رواد الادب العربي المتحرر ، وأعـلام النضال القـومي ، في المهجر البرازيلي القصي ، آيتهم أنهم حملوا في قلوبهم وأذهانهم الى ديار الغربـة النائية . كلمة شعب عريق في اصالته وحضارته وسماحته . كلمة شعب أريحي مطماح معطاء . رنا بأبصاره الى العلياء . ودق أبواب السماء ، وضرب الاوتاد وشد الاطناب ونصب الخيام في رحاب القبة الزرقاء . ثم آب وملء جنانـه ووجدانه . وحسـه ونفسه . كلمة الله الزهراء . ينشرهُ نوراً وديناً وعلماً وشريعة غراء . ويفتح بها أبواب المجد والمضاء . والتسامي والاخاء . والسلام والرخاء .

آيتهم أيها السادة أنهم ساروا في ضوء التراث الفكري العربي ، فما تاهوا ولا ضلـوا ولا تنـكبوا عن الطريق ، واغترفوا من مناهل العروبة ، فما رفعوا عيونهم الى سماء غير سمائهم ولا استقوا من ماء غير مائهم ، ولا جنحوا الى دلاء غير دلائهم ، على كثرة ما حولهم من ماء ودلاء .

واننـا نأبى أيهـا السادة ، ويأبى علينـا تراثنا الفكري الزاخر ، يأبى علينا عقلنا العربي المبدع الباهر أن نمثل دور السفينة التائهة العائمة فوق المـاء العذب ، فنستجدي الآخرين ونستسقي منهم ماء آسناً ، وعندنا الماء العذب الفرات متفجراً من أنقى معين ، رقراقاً طهوراً قرة للعيون . وموروداً حياً للظامئين . ورياً زكياً للارضين ....

ونحن اذا سألنا المجد في تاريخنا العبقري العملاق ، من معركـة ذي قار التي ارتفع فيها أول صوت للقوميـة العربية ، الى معركة بور سعيد التي جدعت أنف القرصنة الثلاثية ، فمعركة الوحدة المصرية السورية التي غرزت المسمار الاكبر في عين الاستعمـار والصهيونيـة ، اذا استفتينا المجد أجابنـا : سلوا الايمان العربي ، سـلوا العقيدة العربية . سلوا العقيدة النضالية المولدة الخلاقة ، التي تضرب الصخر بعصاها السحرية فينبجس منـه كوثر العبقريات والالمعيات والاريحيات وفيض البطولات والمكرمات . بهـذه العقيدة العربية العجائبية الصافيـة المتلألئة ، لا بالعقائد الآجنة الآسنة الماجنة التى يستوردها من الخارج من يعيشون على هامش الحياة والفكر والوطن ، بهذه العقيدة ينبلج فجر الحياة والامراع والايناع • وينشق طريق الحرية والاشعاع والابداع .

وتعود بي الذكريات أيها السادة الى عام ١٩٢٥ يوم أصدر شاعرنـا فرحات رباعياتـه الحكمية الساخرة الثـائرة ، فقـد نفحني آنئـذ بنسخة منها مزدانة بهذه العبـارة الاهدائية ــ الى أخي في الأدب والفاقة نظير زيتون ــ

فاسترعت انتباهي هذه (الفاقة) وتأملتها ملياً لأستشف من خلالها اطراء لا يفوقـه اطراء ، وكبرياء تقصر عنهـا كل كبريـاء .

ما أسمى هـذه الفاقة المبدعـة التي جمعتني بالشـاعر العظيم فرحات على صعيد الأدب . وما أمجد هذه الفاقة المعذوذبـة التي تدفعني الى التغني بها في هذا المهرجان الجليل ، كما يتغنى الجندي ببطولاته وفتوحاته ، ماأحيلى ذكراها وذكرى أيامها .

نعم ، لقد كنا وقتئذ نتقاسم السراء والضراء ، والخيبة والرجـاء . كما كنـا نتقاسم الرغيف والمـاء . والشمس والهـواء . وأحيانـاً الرداء . ولكنا كنا كرماء سعداء . لا نتعثر بفاقتنـا أذلاء . بل نصعد خدودنـا أباة أعزاء . ونمضي الى أهدافنا أقوياء . حسبنا أن تظللنا رسالـة العروبـة الزهراء ، والوطنية الشماء • لنسحب ذيولنـا على الاغنياء ، والملوك المزورين ، والامراء المحنطين ، فانما الفاقة يا أخواني ، فاقة القلوب لا الجيوب . وفاقة الروح لا فاقـة المسوح . وفاقة المبادىء والاخلاق ، لا فاقـة الخاتم البراق ، والقصر والرواق .

وانما الفاقة فاقة الوجدان . لا فاقة الطيلسان والذهبان . ومن تواضع للحق والوطن ارتفع واعتصم .

* * *

ويمضي شاعرنا فرحات في تأدية رسالته القوميـة الى جانب رسالته الشعرية ، ويطغي في خصومته السياسية المنحرفين ، ويتنـكر للاصدقـاء المتقاعسين ، ويرميهم تارة بقوافيه المسددات وتارة بسخرياته اللاذعات ، ويسير الى أبعد من هذا ، فلا يعامل ولا يعاشر الا من تسعرت في صدورهم نيران الوطنية ، والحمية القومية . مع ان مهنته التجارية ، تقضي عليـه بالمجاملة أو المهادنة علـى الأقل ، وكأنه يأبى الا أن تطارده تلـك ــ الفاقة المثاليـة المحببة التي كانت اطاراً لرسالته الوطنية ، وبالتالي جناحاً الى الصفاء والصوفية .

قابله يوماً أحد أصدقائه القدامى وعاتبه لانقطاعه عـن زيارته ومعاملته بعرض رواميز المصانع التي يمثلها وختم عتابـه قائلا : ألا يعجبـك امضائنا التجاري حتى تتحاشى زيارتنـا ومعاملتنا • ؟

فضحك شاعرنا وأجاب بصراحته الساخرة اللاذعة – امضاك التجاري زين ، وعلى الرأس والعين ، أما امضاك الوطني فوالله شين ، ما بيسوى قرشين ....

فأطرق الرجل ساهماً ، ثم رفع رأسه وقد انبسطت اسارير وجهه وأجاب : زرني ولك مني فاتورتان . فاتورة وطنية لفلسطين ، وفاتورة تجارية لك . ورضى فرحات عن صديقه القديم ، وصافحه بدمعة ترقرقت في عينيه ....

ولعلي لا أفشي سراً اذا قلت ان شاعرنا فرحات ، عندما اقتادته يد الجمهورية العربية المتحدة ، باقتراح مؤزر قدمه النائب السابق الاستاذ عبد اللطيف اليونس صديق المغتربين لزيارة مسارح أحلامه ، تكريماً لشاعريته ووطنيته ، في ضيافة مترفة باذخة عزت على كبار السفراء والامراء وأصحاب الطغراء باع الدار الوحيدة التي يملك ، وهي ثمرة كفاح طويل عنيف عنيد ، نعم ، باع الدار التي طوفت فيها الاشباح مخضوضلة بالعرق ، وتناثرت على جدرانها أشلاء الشباب والكهولة ، وعصفت في مخادعها زفرات الزند المنهوك والعزم المغلول . نعم باعها غير آسف على حصيدة خمسين عاماً ، على حصائل العمر ، ليضم الى جانب الضيافة الرسمية ، بضعة أشهر أخرى يقضيها في هياكل أحلامه والهامه ، ومرابع حنينه وألحانه ، حيث يتلمس رؤاه تنبض حياة وقوة وانطلاقاً ، وحيث يلقى فرحات الكهل فرحات الطفل ، فيتعانقان ويتناغمان ويتناغيان وقد رأى الطفل نفسه كهلا ، ورأى الكهل نفسه طفلا .... فتنتفض في صدر الشاعر نجوى الأقمار وحنين الأوتار . وشدو الاسحار . وما كان فرحات في أغاريده الا سماء وسحابا . وخمراً وملابا . وصبابات عذابا . وايماناً وغلابا . وسيوفا عرابا .

هذا هو جو شاعرنا فرحات ، بل لعل أبرز خصائصه انه غير معقد ، وغير متزمت أو متنصح أو متعمل ، وانما يطلق نفسه على سجيتها وطبيعتها ، هائمة في معابد الجمال ، ومعاقل القومية ، ولا غرو أن تنعكس حياته على شعره ، وأن ينعكس شعره على حياته وأحاسيسه ، فما جاشت قوافيه وتجنحت الا بعد تجربة عميقة وانفعال نفساني عاصف . وعسير بعد هذا أن نقع في شعره على مناسبات وتملقات ، ولكننا نقع على مخاض فكرى وولادات ، فانتفاضات باكيات أو مغردات أو مستنفرات . وهنا يكمن سر الشاعرية والشعر .

***

أيها السادة – على أثر زواج شاعرنا فرحات بعقيلته السيدة جوليا أم خالد التى تنتمي الى أسرة النابغة العبقري جبران خليل جبران ، كان يطرق مسامعها عبارة رددها أصدقاء زوجها دائماً في معرض اقتراحهم عليه نظم قصيدة ، وهي سويلنا شي بيت .. سويلنا شي بيتين .... والمقصود بالبيت ، بيت الشعر . أما أم خالد التي ولدت في البرازيل ونشأت في بيئة برازيلية تقريباً ، فكانت تفهم (البيت) بمعناه الدارج أي بيت السكن .

وبعد سنوات ضاق المنزل عن استيعاب الأسرة النامية ، وتذكرت أن أصدقاء زوجها كانوا دائماً يسألونه – سويلنا شي بيت ، وسويلنا شي بيتين ، فتشجعت وقالت له : بشوفك بتسوي بيوت للناس ، ليش ما بتسويلنا شي بيت النا ؟

فضحك فرحات وأجابها – بيت الشعر يا أم خالد ، غير بيت السكن . الاول بيطلع من القلب والراس ، والثاني من الجيبي ، وجيبتي انا مثل ما بتعرفي ....

فلم تصدمها هذه الخيبة ، بل رفعت اليه نظرات ملؤها الحنان والاعتزاز ، وأجابت : معليش . بيتنا كويس ومندبر حالنا .....

والواقع أيها السيدات والسادة ، أن الشاعر فرحات كان يبني . انه لم يكف قط عن البناء ، كان يبني لك يا سيدتي أم خالد ، بل كان يبني لأمته العربية بأبياته الشعرية بومضات خياله وبيانه . بوثبات جنانه . بانتفاضات وجدانه . بعندلة قوافيه ولسانه ، كان يبني ما هو أسمى من بيت ، وأرفع من قصر ، وأرحب من صرح . كان يبني لأمته وراء البحار ، دنياً من المجد ، هى دنيا العروبة . دنيا الثورة . دنيا الحرية والنور والجمال ، وأعظم بها من بناء خالد ، وتراث معطار آبد...

ولا غرابة فى أن يبني ، فهو ابن كفر شيما اللبنانية الشماء الحصداء ، ابن حقل الفضة المخضاب المنجاب ، الذى أطلع فى دنيا العرب ، فراقد اللغة والعروبة والعلم والصحافة والأدب ، كالشيخ ناصيف اليازجى ، ونجله الشيخ ابراهيم الذى استنفر العرب في العهد العثماني ودعاهم الى الاستقلال فى بائيته وسينيته المشهورتين . فكان شاعر القومية العربية الحديثة الأول ، وكالدكتور شبلى شميل العلامة المفكر ، وآل تقلا مؤسسي (الاهرام) كبرى الجرائد العربية وأمها .

والحديث عن شاعرنا فرحات يطول ويطول ، ولكن حسبنا من الروض عبيره المتبول . وجناه المعسول ، ومن البلبل شدوه المكحول .....

***

أما أنتم يا سيادة وزير الثقافة والارشاد القومى ، أما أنتم يا سيادة الأستاذ رياض المالكى ، فقد تمنيت وانا في رحاب نادى الضباط ، في عرين الأسود ووكر النسور ، القى كلمة المغتربين في مهرجان شاعرنا فرحات ، تمنيت والله لو ظفرت بلسان متشدق ، وبيان متألق . ونفس متدفق . وزند متعملق ، اذن لمددت باعاً الى الثريا ، يعربياً عليا ، واقتطفت من نجومها عنقوداً ، وصغت منها قلائد وعقوداً ، ونسجت من شعاعها مطارف وبروداً ، وشعارات وبنوداً ، وقد تنضدت فى ثناياها آيات الشكران تنضيداً . مغردة تغريداً . متهللة تعظيماً وتمجيداً ، لوحدتنا العربية وجمهوريتنا الباسقة الفتية ، وقائدها الملهم الظافر ، جمال عبد الناصر .

فما تكريم شاعر المهجر فرحات ، سوى رمز الى تكريم المغتربين ، وسوى آصرة جديدة تشد الظاعنين بالمقيمين ، والتفاتة كريمة ترقرق فيها الحب والحنين ، والاعجاب بأولئك الابناء الميامين ، وبالشكر تدوم النعم . ولئن شكرتم لأزيدنكم ، وانا لله لشاكرون ، وانا بوحدتنا العربية لمؤمنون .

نظير زيتون — **نزيل حمص**

لولا ضميري

توالت همـوم الحياة عليـــا
ولولا ضمــيري لعشت خليـــا

* * *

فكـم ثروة تعجز الحاسبـــا
تسلمت وهـي لبعض التجار
فقلـت أفـر بهـــا هاربـــاً
فقـال ضميري حـذار حذار
فأرجعتهـــا وغسلـت يديـــا
ولولا ضمـيري لكنت غنيـــا

* * *

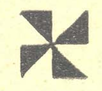
وبـكر أتت حجرتي موهنـــا
يقـود خطاهـــا غرور الصبى
فقلـت سأبلـغ منهـا المنى
فقـال ضمـيري ألست أبـا ؟
فأغمضت عن حسنهـا ناظريـــا
ولولا ضميري جنيت الشهيـــا

* * *

وسابقت في الشعر فرســـانه
فقصرت عـن فـارس مفلح
فقلت أعرقـل ميـــدانـــه
فقـال ضمـيري ألا تستحي ؟
فعدلت حـب التفوق فيـــا
ولـولا ضمــيري تركـت دويـا

* * *

شكوت ضمـيري شـكوى الجهول
ونحت علـى الحظ نوح الغراب
فأسمعني الله صـوتـاً يقـول
أتشكـو ضمـيرك يا ابن التراب
ولولا ضمـيرك ما كـنت شيـئا
ولـو كنـت من نـيرات الثريـا



أأنت حبيبتي ؟

ترى من في الأنـام يزيـل ذاي
بحب مليحـــة جهلت محالـي
تطـل علي ضحوة كـل يـوم
بقامـة بانـة وعبـير فـل
وتذهب بي الى احـدى الضواحي
ولا أرب لهـــا غـير التسلي
رضيت بكـل أمـر ترتضيــــه
فأغراهـــا رضـاي بشـد غلي
أثـور علـي مـن ألمي لأنـي
أقصــر في الهـوى وأنـا المجلي

* * *

فـذل العبـد في قلبي مقيم
وفي نفسي ابـاء المستقـل
فياشمس الغرام أضاع رشدي
ظلام الروح في البرد المعل
اذا لـم يأت منك سنى ودفء
فما يجدي المعـذب أن تطلي
فؤادي حـار فيـك وحار عقلـي
وحارت مقلتـاي وحـار كلـي
أ أنت حبيبتي أم أنـت ربـي
أ أنشد في حضـورك أم أصلي
سألتـك قبلـة فمنحت صـداً
وملت علـي بالوعـظ الممل
كؤوس الحـب مـن خـل وخمر
أمـا لي في كـؤوسـك غـير خـل
يولي العمـر في أخـذ ورد
فـوا لهفي علـى العمـر المولي

الياس فرحات

الياس فرحات
الشاعر الحكيم والعروبي

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

ما كادت الطائرة التي تقل فرحات وزوجه تحط في أرض المطار حتى هرع مستقبلوه يتفرس كل واحد منهم في وجوه النازلين منها علّه يكتشف الشاعر فرحات فتكون له أسبقية الدلالة عليه .

كانت دهشة ، وكان ذهول ، فعوضاً عن أن يشهدوا شيخاً هرماً ، متعباً أضناه السعي وأجهدته الهجرة فأتى ليلقي بأثقال همومه على أرض وطنه ، فقد شهدوا رجلا يهبط السلم بخفة الشاب ووثبة الرياضي ، ولم يكد يحيط به القوم حتى فارقه ما يعتري القادمين عادة من تأدب واستحياء وتجمل ، فقد كان يسأل هذا ويجيب على أسئلة ذاك ، ويداعب الآخر ، يتلقف النكتة من الهواء فيرد عليها بمثلها أو أحسن منها ، فعلمنا عندئذ أننا أمام شخصية جذابة ، محببة ، تكمن فيها طاقة وحيوية ولم يقو المهجر على شدة وطأته استلالهما أو استنفاذهما .

ان كل شيء في هذا المصامي يوحي بالقوة والرسوخ ، رأس ضخم قائم بين كتفين عريضتين ، يحمله جسم متماسك ، متين البنيان ، ثابت القدمين على الارض ثبات المصارع في الحلبة وعينان براقتان غارقتان في محجريهما تعلوهما جبهة محدبة عريضة كأنها بناء حجري نحت بالازميل فيها شيء كثير من معاني التحدي وحب المقارعة والنضال .

أهم ما في شخصية فرحات كمتانة الخلق وتقدير الذات والانفة من مسالك تقود بدورها الى تعشق الحرية والتحلل من القيود والتمرد على كل ما يحول دون تحقيق الرغائب الأصيلة واكتمال الشخصية وانسجام أجزائها ان حياة فرحات ونشأته ومزاجه انعكاس لهذه الظواهر ، قال :

« عندما كنت في الوطن كنت أعيش كما أريد ، فقد كان أبي وأمي يتساهلان معي ، أعمل ما أشتهي واذهب الى حيث أرى — فالت على رأسي — وهكذا فقد نشأت حراً لا أطيق القيد مهما كان خفيفاً لهذا لم تطل اقامتي عند أخوتي لأنني شعرت أن ارتباطي بعمل تجاري في محل لا أكاد أفارقه كارثة علي أن أنجو منها ... وكانت هذه نزعتي التي نشأت عليها قبل كل شيء » .

ولد الياس فرحات في قرية كفر شيما جنوب شرقي بيروت سنة ١٨٩٣ ، ومن يطالع أخبار طفولته وما تركته فيه من أثر يجد أنه كان ينزع بدافع الفطرة الى تقليد الكبار تعجلا منه للرجولة قبل أوانها وقد هيأت له ظروف بيئته الأسباب لتفتح مواهبه المبكرة واكتساب التجارب ومكنته من اختزان المشاهد والصور عن طريق المحاكاة والامتصاص الذهني العاطفي ، وكان يقول :

« لا اذكر من طفولتي الا انني كنت ولداً كالأولاد الذين يلعبون في ساحة الرملية التي كانت تعقد في دكاكينها مجالس الرجال وأذكر أنني كنت محبوباً من هؤلاء لشدة حافظتي و ... خفة دمي ! وكان اذا جاء النور الى الساحة فرقصوا وغنوا بلغتهم المخلوطة ومضوا دعاني الرجال الى تقليدهم فرقصت وغنيت بتلك اللغة بدون أن أفهم منها حرفاً » .

ومن الظريف ألا يصحب هذه المواهب الآخذة في التفتح دراسة منتظمة ولم يكد الطفل الياس فرحات يتعلم القراءة في مدرسة « الضيعة » حتى تركها وله من العمر عشر سنين وكان هذا آخر عهده بالتعليم ، وقد سببت له هذه الفجوة العميقة في دراسته متاعب ومشقات ظل يعانيها ويغالبها طوال ثلاثين عاماً انها لصراع عنيف بين الموهبة وأداة التعبير فكأن مواهبه الحبيسة التواقة الى الانعتاق والافلات والتجسيم لم تجد منفذاً سوى اللجوء الى الوسائل التعبيرية العفوية فأخذ ينظم المعنى والقرادي والشعر العامي ثم تدرج الى الشعر الفصيح على الرغم من جهله قواعد النحو والصرف والوزن والقافية وقد رويت له حوادث في هذا الصدد قال :

« قال لي أديب عربي علمت انك تنظم الشعر فهلا أسمعتني شيئاً من منظومك ، وكان في جيبي قصيدة حديثة النظم كنت أظنها آيتي ، فمددت يدي اليها فأخذتها وقرأت :

ضروباً من الاهمال حملني دهري
وجر علي الهم والذل والقهر

قرأت البيت وأنا أنظر في وجه محدثي لأرى كيف يكون تأثيره عليه ، فلما سمع العجز ضحك ضحكة جمدت الدم في عروقي على انه لم ينتظر أن أسأله عن سبب ضحكه بل بادرني بقوله : ان العجز كله غلط ! ثم يقول فرحات :

اني بعد هذا الدرس لم أقع في غلط الفاعل والمفعول ، فكنت كلما نظمت بيتاً تذكرت هذا الدرس وحافظت على القاعدة !

وكان الشاعر القروي يقول له معرضاً بجودة نظمه وضعفه في اللغة :

« ان أحسن ما في شعرك أنك تنظمه ولا تعرف أن تقرأه » .

ويعقب فرحات على هذا بقوله : « ذلك لأني أجهل أبسط قواعد الاعراب » .

على أن ضعفه في علوم الآلة لم يحل دون مثابرته على النظم واستكمال النقص اللغوي ، ولا بأس عليه ما دامت عنده الصنعة الاساسية وهي الموهبة ، ألم يقل الجرجاني في الوساطة : « ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه

الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له » وقد سار فرحات في نظمه بالفصحى على طريقة الاصطفاء والوصول للكمال بالجهد الطويل والتنقيح الشديد والتشذيب الزمني قال : « ان كل شعري المطبوع نظم بعد الحرب الكونية الاولى فلقد أتلفت كل ما نظمته قبلها وبعضاً مما نظم بعدها ، حتى لأقدر اني أتلفت من الشعر أضعاف ما أبقيت منه » . وقد أفادت هذه العملية الانتخابية الشاعر في نقله من مرحلة الغموض التعبيري والرجرجة والضعف الى مرحلة التمكن والوثوق بالنفس وتكامل الصنعة الفنية ولا ريب في أن نزوعه المبكر الى القول وتسرعه في نشدان أداة التعبير عن موهبته الشعرية وعدم تريثه لاستكمال العدة واتقان اللغة ، قد عمل على تأخير نتاجه الشعري فكان أول ما أرسل الى كفر شيما زجلا نظمه سنة الف وتسعمائة وعشر وبعد مرور ثلاثين سنة أرسل الى ضيعته أبياتاً بالفصحى يقول فيها :

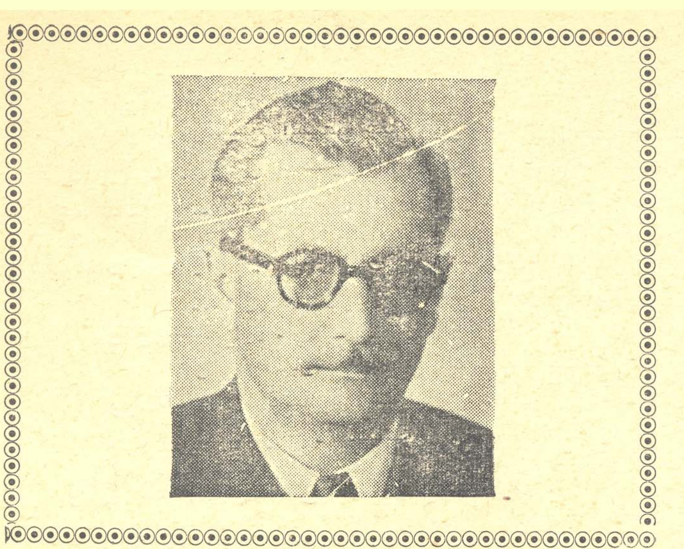
اني لألمح من خلال دموعي
صوراً ، طواها البين بين ضلوعي
صوراً يجسمها الخيال مضاعفاً
عطشي لرؤية من أحب وجوعي
أربوع أحبابي لأنت وان نأت
بي عنك مركبة الزمان : ربوعي
أنا في الخريف وما ذكرتك مرة
الا شعرت برجعة لربيعي
يا من بيقظته يزور حبيبه
اني أزور أحبتي بهجوعي
طال الفراق ولم أزل متمسكاً
جهلا بحبل سعادتي المقطوع
أعدوا الى أمنيتي عدواً وما
أمنيتي الا وشيك رجوعي

وفي هذا مصداق لقول سعيد عقل : « لا وجود لأية شرارة جمال الا ووراءها عمر من التحضير والكد » .

ان الشاعر لا يمتح صوره وأفكاره من العدم ، فان وراء كل نتاج أدبي مهما تعددت ألوانه وصفاته تأثيرات مكتسبة واقعية بعيدة كانت أم قريبة لان الابداع الشعري بحاجة الى غذاء ولكي يبدع الشاعر وجب عليه أن يغذي فكره ومخيلته بالمقروء والمنظور والحوادث الموحية والمثيرة والرؤى ومشاهد الوجود على أن يتمثل كل هذا في وعيه الشعوري واللاشعوري ثم يبرز بعد عملية خفية بطيئة في شكل جديد عليه طابع الابداع وسيماء الخلق .

وفي الحق فان تجارب الحياة وظروفها القاسية قد أمدت فرحات بعناصر غنية عملت على تكوين شخصيته الأدبية وصقل موهبته الشعرية فمن روائع قوله في الاشارة عن مصادر شعره ومنابع وحيه :

يقولون : عمن أخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر
وأين درست العروض وكيف
تلقفت هذا البيان الأغر



وما كنت يوماً بطالب علم
فانا عرفناك منذ الصغر
فقلت : أخذت القريض صبياً
عن الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفي عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول
فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الأديب
يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتي
يكدن يغلغلنها في الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف
ففي عبرات الحزانى عبر
لئن كنت لم أدخل المدرسات
صغيراً ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات
وذا الدهر أستاذها المعتبر
ففي المبكيات بيان جميل
وفي المضحكات معان غرر
وفي كل ما يبصر المبصرون
دروس تنار بهن الفكر
فمن يحى يوماً ولا يستفيد ، أعمى البصيرة أعمى البصر

نزح فرحات من المهجر كغيره من أبناء وطنه (مستجيراً مسترزقاً) حاملا معه الى جانب آماله في الربح والاثراء مثالية « زاهدة » في متع الحياة وقد حاول عبثاً التوفيق بينهما فتمت في النهاية الغلبة للنزعة المثالية على المادية على ان افلات فرحات من براثن المادة وولوجه عالم الحلم الشعري والخيالات والرؤيا لما يتم دون مأساة تخللها تجاذب وتمزق وحيرة وصراع بين الروح الشاعرة وعالم المنفعة الذي هو عالم الخوف والقلق والحاجات والتطلع الى المستقبل مما يقضي على الشعور الجمالي ويبعد عن منابع التأمل والحلم الشعري ، ولذا كان طبيعياً على فرحات وغيره من المثاليين أن يتيهوا وسط مدنية آلية تعبد عجل الذهب وأن يمنوا

بالاخفاق فيما رحلوا من أجله ولم يفت شاعرنا أن يعرض علينا في قصائد ومقطوعات رائعة صوراً عن طغيان المادة على النفوس وضياع الشعر عند غير أهله وبؤس الاديب وهوانه وعجزه عن تحصيل الرزق وهذه المكائد الدنيوية التي تجرعه المر وتحمله على السير فوق الاشواك قال :

وهل يستقيم النظم والنثر لامريء
يبيع ويشري مرغماً ويساوم
ومن الذي يمسي على اللفظ حائماً
وفي صدره هم على القلب حائم
ووالله لولا فطرة ما الدفعها
سبيل لانستنا الهجاء اللوازم

وقال محذراً من دنس المادة ومزهداً فيها :

يا شاعر العرب احذر أن يقال غداً
كحل التجارة أعمى شاعر العرب
سر في سبيل العلى الشواك منفرداً
وليذهب الناس أفواجاً مع الذهب
ان التجارة للأخلاق مقبرة
أما النسائج فالأكفان للأدب
ان ضاق عيشك كن مساح أحذية
لا تاجراً يغتني بالغش والكذب

ومما كان يزيد في حزن الشاعر نظمه الشعر في بيئة أعجميه او بين اثرياء أغبياء لا يفهمون الشعر ولايتذوقونه، وييس اشق على الأديب من أن يعدم صدى لروحه ، ورجعا لصوته قال :

فكيف يعز الشعر في دار غربة
كأن فصاح العرب فيه طماطم

وقال :

انا قضينا كل أيام الصبا يا جارنا
في غربة طالت فقصر طولها أعمارنا
نزجي لغير الفاهمات شعورنا أشعارنا
فنضيعها واخال أنك مقتف آثارنا

ولعل من أجمل ما قيل في تصوير كفاح الأديب في البيئة المهجرية ومغالبته للطبيعة وما يلاقيه من العنت في سبيل الرزق قول فرحات من قصيدة مؤثرة عنوانها « حياة مشقات » يصف اشتغاله بالتجارة وضربه في الفلوات والمجاهل البرازيلية :

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة
طويت بها الاصقاع أسعى وأدأب
أغرب خلف الرزق وهو مشرق
وأقسم لو شرقت كان يغرب

الى أن يقول :

ومركبة للنقل راحت يجرها
حصانان : محمر ، هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء : شدها
غرابيل ، أدعى للوقار وأنسب
جلست الى حوذيها وورائنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده
وأغواره أمواجه وهي مركب
تبين وتخفى في الربى وخيالها
فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر
فنحسب أن الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى
فنوشك من تلك الخلاعة نقلب
نبيت بأكواخ خلت من أناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخط بريشة
تظن صباغاً لونها وهو طحلب
يغني لنا فيها الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي أجفاننا الشوق للكرى
ونضحي وجمر السهد فيهن يلهب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبي وتعذب

ان حيرة الشاعر بين الحقيقة والخيال ، وتردده بين العالم الخارجي الصاخب المناويء ، وبين الحياة الداخلية التأملية التي ينزع اليها في جو انفعالي مشحون بالشكوى والحنين الى الارض التي اقتلعت منها جذوره ، كل هذا قد لون الشعر المهجري في غالبيته بلون أسود تشاؤمي لم ينج منه الياس فرحات ، بل هو عنده أكثر وضوحاً ومهما يكن من شيء فان التفاؤل والتشاؤم منوطان الى حد كبير بالوراثة والمزاج والطبع والسن والظروف ونحن اجمالا أميل الى التفاؤل عندما يكون الخط البياني في حياتنا يرتقي صعداً الى العلاء ، والى التشاؤم عندما يبدأ في الانحدار ، فان أحلام اليفاعة والشباب تحمل على الاقبال والامل ، كما أن أحلام الكهولة والشيخوخة تحمل على الانكماش والكآبة والحسرة وسوء الظن، ان هذه الاعتبارات تنطبق على الياس فرحات الذي لم يطلع الناس بشعره الا بعد انطفاء شرة الشباب وخمود جذوته في صدره ودخوله مرحلة النضج واكتمال الذات وفهم الحياة واكتناه نواحيها الخفية وفواجعها المخيفة ، ألم يدع الناس الى هجر المحيط المدني الفاسد والفرار الى الغابات حيث العافية وسلامة الروح والبدن :

خذني الى الغابات واتركني أعش زمناً
مستمتعاً بسلام النفس والبدن
فما أخاف نيوب الوحش فاتكة
كما أخاف لسان الناطق المدني
ان المدائن في مجموعها دمن
أما الرجال ، فأدياك على دمن

يقضون حاجتهم منها وأرفعهم
صوتاً اذا صاح : أرواهم من الأسن

أما الحياة في نظره فهي :

هذي الحياة وأنت تعرفها
غرارة في السر والجهر
فالغدر بالاخلاص مختلط
والعهر ممتزج مع الطهر
والشوك شوك الورد مستتر
للختل خلف نواضر الزهر
والناس أقذار تجمعها
الأقدار تحت أظافر الدهر

كان محصول فرحات في حياته ، كالمتنبيء ، حكماً رائعة أودعها رباعياته وصف فيها الناس منتزعاً الاقنعة من وجوههم ، مشيراً الى ضعفهم وتفاهتهم ونذالتهم ولؤمهم ، محاولا أن ينتزع من الطبيعة الانسانية مشاهد وأسراراً نسج منها مادة حكمته ، ومن أقواله الرائعة :

لا يقفل البشر الابواب ان رقدوا
خوفاً من الدهر بل خوفاً من البشر

وقوله :

والمرء وهو يداوي البطن من بشم
يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

وقوله :

يا من يحاول أن يلغي بقوته
حكماً أصر على تنفيذه القدر
لن للزمان اذا اشتدت عواصفه
ان الغصون اذا لم تلو تنكسر

وقوله :

والحظ يخدم بعض الناس عن عمد
حيناً ويخذل كل الناس احيانا

وقوله :

لو يعرف الكبش أن القائمين على
تسمينه يضمرون الشر ما أكلا

وقوله :

ان كنت تطلب نفعاً من مودتهم
فالنفع أجمع أن تنجو من الضرر

نظم فرحات معظم رباعياته بعد انقضاء الثلاثين من عمره وكان قد نظم جزءاً منها في سن الشباب وقد يتعذر على الناقد اكتشاف الفرق ان في الروح أو الأسلوب كأن فرحات دخل معركة الحياة ومعه رصيد من الحكمة والتعقل ينجده في المآزق وينفخ فيه عزماً يقيه التردي في شراك الناس ، وفط مهاوي العطب واليأس ، كما يتيح له ولقاريء رباعياته أن يفرغ شحنة قلبه من التمرد والسخط على سنن الحياة ومتناقضاتها ، والناس أبداً مفطورون على حب الحكم والتمسك بها ، فهي زبدة التجارب وحصيلة تفكير الحكماء والعقلاء ، نثروها على الناس في شكل دساتير لتؤنسهم في مواقف الفشل ، وتعزيهم عندما تبهم الأمور وتستعصي عليهم الحلول وقديماً قيل : صاحب الحكم رجل مسلح ، والحكم عند الانسان كالسياسة للدولة .

ومن حكمه الرائعة مجدداً أسس فلسفته السلوكية ونظرته للعالم :

فيما التقاطع والاوطان تجمعنا
قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترماً حقي فأنت أخي
آمنت بالله أم آمنت بالحجر

وقوله :

تعويد كفيك الصلاح أبر من
تعويد رجليك الوقوف بمسجد
أنا لا أصدق أن لصاً مؤمناً
أدنى لربك من شريف ملحد

وقوله :

تتلو أساطير أسلاف الورى فنرى
جهلا غريباً وخلطاً في الديانات
والجهل والخلط ما زالا كما عرفا
منذ الوجود سوى بعض اختلافات
هذي عقول بني حواء ما برحت
عمياء تسبح في بحر الخرافات
اذا ضحكنا من الماضي ولا عجب
ان كان حاضرنا أضحوكة الآتي

ولئن خاطب فرحات في رباعياته عقول الناس وأفهامهم فقد خاطب في دواوينه الأربعة عواطفهم وأحاسيسهم، ولئن تجلى في رباعياته شاعراً حكيماً خبر الحياة حلوها ومرها ، فقد بدا في دواوينه شاعراً غنائياً ، واذا كانت الغنائية انعكاساً للوجود من خلال روح الشاعر ، فان الشعر الغنائي فن التعبير في أطار الذاتية عما في الكون من مظاهر وأسرار وأشياء ينحني عليها الشاعر ليبرزها مغلفة بحرارة قلبه ومغشاة بانفعالاته الوجدانية التي تثير فينا الحماسة والنشوة وتفجر المشاعر النبيلة التي تزيد في قيمة الحياة وبهجتها .

ان بعضاً من شعراء العربية سجناء فرديتهم ، بل سجناء « الأنا » لا يتعدونه يحللونه بدقة ويترصدون خلجاته الخفية ليضيفوها ان هذا من الشعر ولكنه ليس الشعر كله ، فان بقاء الشاعر ضمن حدود « الأنا » يجمد الحياة حوله ، ويفقده فرصة التجدد والتنويع ، فهو يدور في حلقة من العواطف والافكار تضيق وتضمر شيئاً فشيئاً فلا بد له اذن من التوسع والامتداد خارج حدود هذه الفردية ، فهناك شعر ذو صلة وثيقة بحياة ناظمه وهناك شعر أوسع آفاقاً يتناول موضوعات فلسفية أو اجتماعية أو سياسية أو قومية يكون الطابع الغنائي فيه تعبير عن عواطف ذاتية ممتزجة بعواطف جماعية في اطار انساني عام ، قال الشاعر هوغو عندما نظم ديوان التأملات : « انها مصير انسان كتب يوماً فيوماً، هل هي قصة حياة انسان ؟ نعم وحياة الناس جميعاً ، اذا لم يكتب لأحدنا أن تكون له حياة خاصة به ، ان حياتي حياتكم وحياتكم حياتي ، أنتم تعيشون ما أعيشه .... آه منك يا عديم الحس الذي يظن أنني لست هو » .

هل أغني؟

ظننت بغى الفتوة والتمني
تزول بالاكتهال فخاب ظني

أرى قلبي يظل على صباه
ولو حامت على التسعين سني

يكلفني الشقي هوى الصبايا
فأهواهن ممتثلا كأني ....

ويولعني بأصغرهن سناً
وأصغرهن أبعدهن عني

بكيت فقال أصحابي : أتبكي ؟ !
فقلت مضى الشباب فهل أغني ؟

ولو راح الهوى لأراح نفسي
من الصد المبرح والتجني

ولكن الهوى باق وقلبي
بمعترك اللحاظ بلا مجن

بأي وسيلة أرضي الغواني
وشعري عندهن عزيف جن

غريبات اللسان يرين شكاي
وليس يرين معرفتي وفني

يرقن على أديم الأرض خمري
اذا لم يرضهن جمال دني

دعوا دمعي يسيل فما لمثلي
شعور المستريح المطمئن

وليس أحق من عيني بدمعي
وأولى بالبكاء علي مني

الياس فرحات

ان اصالة الشاعر ليست في تفرده فحسب بل في قدرته على ايقاظ الاستجابة العاطفية والفكرية عند الآخرين ، ومن هنا أوجبوا على الشعر الغنائي أن يتجاوز عالم الفرد للوصول الى ذلك الاساس الراسخ المشترك الذي تتلاقى فيه وتتجاوب عبر الافراد والعصور جميع أماني الانسانية وآمالها .

ان نفاذ الشاعر من طوق الذاتية الى مجال القضايا الكبرى التي تشغل الناس في زمن الشاعر لدليل على غنى الشاعر واكتمال شاعريته فالشعر قبل كل شيء احتجاج صارخ فهو صوت الثورة ونذيرها يستمد واياها غذاءهما من نزوع الجماهير الى الحفاظ على القيم التي جهدت الانسانية في الدفاع عنها وصيانتها من عبث الطغاة وعصف قوى الظلم العمياء ، ومن غير شعراء المهجر أولى بأن يرفع الصوت بتمجيد الحرية في بلاد الحرية ، واستنكار الظلم ، وتصوير آلام الوطن وعذاب بنيه والدعوة الى حياة حرة كريمة ، حتى بات الشاعر هناك يعيش حياة مزدوجة الاولى مهجرية والثانية وطنية أو كما قال عريضة :

أنا المهاجر ذو نفسين واحدة
تسير سيري وأخرى رهن أوطاني

ومن يتصفح ديوان فرحات يجد فيه قصائد تضج بالشعور القومي وحب العروبة وأهلها والدعوة الى الوحدة القومية « دعوة مخلصة بمنطق معقول وحماسة واقعية » .

وقد بلغ من حماسية شعراء المهجر أنه لم تكن تحدث حادثة في أية بقعة من بقاع الوطن العربي على اختلاف أقطاره وتباعد دياره الا وجدت عندهم صدى وتعبيرا ألم يقل فرحات عن الثورة السورية « كانت نار الحماسة في صدري تضاهي نار الثورة في بلاد الشام » ألم يجعل حب بلاده وقوميته مقياساً حتى في العلاقات الشخصية :

يقولون لي صادق فلاناً فانه
أخو نجدة يرجى لساعة ضيق
فقلت لهم هذا صحيح وانما
عدو بلادي لن يكون صديقي

انه شاعر قومي أحب أمته ، وعشق الارض التي ولد عليها ، فأوحى اليه الحنين اليها بأرق الشعر وأعذبه قال من قصيدة يتغزل بعروبته :

دار العروبة ، دار الحب والغزل
هاجرت منك وقلبي فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا استرد بها
فجر الشباب فشمس العمر في الطفل
هذي الغريبة ما زالت تقبلني
والسم يقطر من أنيابها العطل
والله يشهد أني كلما رجعت
مني اليك الصبا حملتها قبلي
أنت الحبيبة لا هذي التي زرعت
في المشيب فلاح اليبس في السبل
الحسن فيها جديد وهو مبتذل
والحسن فيك قديم غير مبتذل

ويقول مدحت غراب : « وطن فرحات قطعة من الارض تحدها شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً اللغة العربية ، ولا يفرق بينها اقليم أو لهجة أو دين أو شعوبية » . ونحن واجدون في ديوانه قصائد شتى تشمل المحيط العربي كله فمن ثورة الشام الى ثورة بطل الريف الى ثورة مصر ، ومن رثاء سعد زغلول الى رثاء بطل ميسلون الى تحية الاندلس والشام ولبنان واللغة العربية وغير ذلك من الشؤون والاحداث العربية جميعاً شعور صادق ووجدان قومي حي وايمان بالوحدة يتمثل في هذه الابيات الاربعة :

انا وان تكن الشآم ديارنا
فقلوبنا للعرب بالاجماع
نهوى العراق ورافديه وما على
أرض الجزيرة من حصى ورمال
واذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا
نروى بسائغ نيلها السلسال
ان الكنانة أم كل مجاهد
حر كريم ماجد مفضال

هذا هو الياس فرحات انه واحد من فرسان العروبة وشعرائها على أرض المهاجر .. !

امنيات انسان ضائعة

قصة بقلم :

ياسين رفاعية



اخذ لفافة . أشعل عود ثقاب . شرد قليلا ، ثم أحرقها وتلقف منها نفساً عميقاً ، ولفظه بهدوء وامعان ، كأنه يدفع الدهر كله من صدره ، وأخذت عيناه تنتقلان بكآبة الى أنواع الفاكهة التي صفها بنظام بديع جميل ، وبشكل يلفت النظر ، ثم عاد الى لفافته ، واخذ منها دخاناً كثيفاً كأنه يريد ان يحرق نفسه ، ثم دفعه بشكل أغشى عينيه ، ودفن رأسه به ، والتفت الى الماء المغلي في الابريق ، ووضع حفنة من الشاي ، ثم أخذ يمعن النظر بالبخار المتصاعد الى الفضاء ، كأنه فقير هندي يستطلع منه الايام المقبلة لعلها أفضل من الايام المدبرة « ترى .. الى م يمضي في هذا العالم الذي يحياه ؟ .. الى م يعبر الايام التي تمر برتابة مملة تكاد تدفعه الى الجنون .. ؟ وهذه الوحدة التي تصرخ في اعماقه بقسوة .. متى ينتهي منها .. ؟ »

هو يعيشها منذ اعوام ، مرت بلا وقوف عند شيء يسعده ، او يدفع قلبه الى أمر مفرح .. حتى غدا يجد الحزن امراً عادياً .. يجد انه خلق لاجله .. بل انه قفز الى الحياة .. وهذا الحزن مجبول بدمائه .. بعقله .. بقلبه ، وهو يحاول ان ينتزع الفرح من الحياة ليغمر به صدره ، ولكنه لا يصل الى هذا الصدر الكئيب الا متحولا الى حزن ، كأنه مر في مرجل كيماوي وبطريقة آلية تحول الى دمع لا يخرج من المآقي ، بل يسقي تلك الشجرة المغروسة في قلبه لتنبت فاكهة اسمها الحزن ..

وتصاعد الدخان مرة ثالثة ، كثيفاً أكثر .. وكئيباً اكثر .. كأنه يحمل على كاهله ، ما شاهده في صدر يجمع شتاتاً قاسية .. ليس فيها من معان .. الا ما يحمل الشقاء بكل معانيه .

كان يتمنى لو كان لهذا الدخان لسان فيتكلم ، ويشكو ما مر به منذ لحظات .

يقال : الاصدقاء كثر .. ولكن اين هم .. ؟ أترى يجد صاحباً واحداً يستمع اليه ، دون أن ينال منه سخرية ..؟

كان يتمنى ان يجد من يشكوه هذه الوحدة التي تزأر في صدره كصراخ ذئاب جائعة في ليال باردة .

في بعض الاحيان .. والظلام الاسود يأكل الكون ، يمسك الوسادة ويعصرها بعنف ، يتمنى ان يبكي .. فيعصيه الدمع ، ويضغط بأسنانه في عصبية قاسية .. واصرار .

« آه .. آه من تلك الايام .. لا شيء يتغير فيها .. لكأنها تناصبني العداء لوحدي من غير الناس .. أمنياتي الصغيرة .. تضيع في اللحظة التي ألفظها .. »

ويتساءل :

« لماذا لا يعلن الحرب على هذه الايام ؟ لماذا يتعلق بذيل الحياة ؟ الا يستطيع أن يدفع جسمه من عل .. ويلفظ روحه غير آسف . »

وطفح الشاي المغلي وأطفأ النار ، وتصاعدت رائحة الغاز فتناول عود ثقاب وأشعل النار ، ثم دلق الشاي في قدح كبير وعاد الى نفسه .

« منذ الصباح .. ترفع الرأس عن الوساد القاسي ، وتقتلع الجسد من الفراش الجامد ، بخطوات ثقيلة كالحياة .. الى السوق .. وفي الجيب حفنة من النقود ، وتعود الى دكانك القريبة من السوق ، وصديقك الحمال يثقل كاهل حماره بما اشتريت .. »

« .. الناس ، بعد ، لم يفيقوا ، ويدك تمتد الى القفل وتفتحه ، وتأخذ الفاكهة وتصفها بنظام ، كأنك تحسب نفسك تنظم الكون كله .. ترفع فاكهة الامس فوق فاكهة اليوم ، اتراك تقص قصة الحياة في عملك هذا ؟ .. فاكهة الامس لا بد أن تذهب قبل فاكهة اليوم ، وفاكهة اليوم يجب أن تباع قبل فاكهة الغد .. كالانسان الذي يدفع الايام التي تمر من عمره .. الامس لا يعود .. واليوم يعقبه الغد .. ويصبح حلماً تتلوه بثوان .. تباً للحياة.. ليتها كانت بغير هذه الرتابة ..

* * *

يرى الصحاب يقفون امام الدكان ، يسدون عليه النور ، ويمد أحدهم يده ويأخذ مشمشة بلا استئذان ويدفعها الى فمه ، ويسأل آخر : ألا تذهبون الى السينما ؟ في صالة الدنيا فيلم لأنغريد بريغمان .. ما رأيكم .. ؟ ويجيبون : طالما الفيلم لأنغريد بريغمان.. فليس هناك نقاش .. هيا..

ويمضون .. دون القاء التحية .. دونما وداع ، كأنهم كانوا واقفين امام تمثال لا يحس ولا يشعر مثلهم ، ولا يعرف أنغريد بريغمان ..

« حقيقة لا أعرفها .. من تكون أنغريد بريغمان هذه .. الذين اجمعوا على ان يشاهدوا فيلمها ؟ هل هي جميلة كالصغيرة التي تمر صباح مساء أمام دكانه ؟ لماذا لا يعرفها مثلهم ؟ . هل لانه يسجن نفسه طوال النهار في دكانه حتى قبل منتصف الليل بقليل ، ثم يسرع ليأخذ الفراش اللعين، ويشكو كآبته الى الوسادة الصامتة ؟ .. »

« كان يجب أن أذهب بعد ظهر الجمعة الى أية صالة للسينما .. لأشاهد هذه الممثلة وأتحدث عنها كما يتحدث الصحاب .. بدلا من الذهاب الى الحمام .. والبقاء في جوه الخانق لأجل النظافة .. »

بعض الاحيان .. يترنم بأغنية حزينة ! انا وحدي ؟ انها حزينة حقاً .. وهو يقول : انها تنطبق عليه تماماً .. ما أقسى الوحدة ..

« ليس امامك .. الا ان تأخذ حبلا غليظاً الى سقف غرفتك وتأخذ الطرف الآخر الى عنقك ، ثم تقذف ، وبعدها ، لا شيء أنت مطلقاً .. »

وافزعته الفكرة ، وخافها كثيراً ، ولكنه شعر كأن قوة خفية تدفعه أن ينفذها .. ان يكون شجاعاً يوماً واحداً على الاقل .. ويتحدى القدر بهذه الصراحة

أبداً .... كان القدر يهزمه في كل شيء ..

***

يذكر تماماً ..

اخذ دراجة . كان يوم جمعة ، والحي ليس فيه عابر بعد الظهر ، والجميع تفرقوا في الربوة .. وامام شلالات دمر.. وفي صالات السينما والمقاهي .

ومضى حتى « القصاع » ودخل حانة .. ودفع للبائع زجاجتين .. ثم قال له : كوكتيل من فضلك ..

وانتظر قليلا ، ثم اخذهما ونفح الثمن. عاد الى الدراجة. امتطاها . ثم قصد الى الحي الذى ما زال خالياً ، وفتح باب البيت . ودخل غرفته . اغلق بابها خلفه ، ونظر الى الحبل الملقى فوق الفراش الملفوف في الزاوية . ودمعت عيناه لأول مرة : سيترك الحياة هذه الليلة .. هذه الحياة لا معنى لها .. امنياتها ضائعة . لا يمكن أن يأمل الانسان بشيء يستطيع تحقيقه ..

اخذ يصب الخمرة في القدح « ما الذي يدفعه أن يتعلق بالحياة ؟ الصحاب جميعهم . . تداعبهم آمال حلوة .. جميلة .. وقد حاول ذات مرة ان يكون مثلهم ، واختلج قلبه بحب الصغيرة التي تمر صباح مساء . دون أن تلتفت اليه . ولكنه استسخف الفكرة بعد مدة وجيزة . . الاصدقاء يتابعون فتياتهم ، وينعمون بنظرة . بهمسة . ببسمة ، ولكنه هو . . فقد شعر بانه جبان ، فكلما كان يحاول لفت نظرها . كان يغرق في عرقه الذي يتفصد كالنبع من كافة انحاء جسده .

اذن .. فهو ليس جديراً بالحياة . لأنه لن يستطيع أن يأمل . وأن يحصل على آماله .

والتحقت بعض النقاط من العرق على أرنبة انفه ، عندما دفع القدح الى فمه وافرغه كله بجوفه ، كأنه لم يذق ماء منذ أيام ، وعب كأساً آخر ، ودمدم : تمنينا شيئاً لا طاقة لنا به .

وتصور نفسه قد نفذ فكرة الانتحار ، وشرد الى المقبرة القريبة من بيته « ليس في القبور الا العظام ، ورائحة نتنة ، .. أهكذا يجب أن ينتهي اليه ؟ أليس قسوة أن ينتقل من وحدة العالم الواسع .. الى وحدة القبر . . ؟

كل همه أن يهرب من وحدته .. من حياته الرتيبة .. فهل يجد في الحفرة المظلمة مبتغاه . . ؟ ليكن ما يكون .. طالما تضمه الحفرة جيفة لا اكثر ، ليس فيها من حياة تحس او تشعر بها . « ما همك ان يحرقوك . أن يشرحوك بعد الموت .. هل تصل بك الانانية الى حد تخاف على نفسك حتى بعد الموت . . يا لك من انسان غبي .. »

وتفر الشمس من السماء . ويبدأ بافراغ الزجاجة الثانية « وبعدها .. ليفعل القدر ما يشاء .. »

« من تراه يحزن عليه اذا علم النبأ .. هل يمكن لغير امه العجوز ان تهب لأجله دموعاً ساخنة . . لا تهدأ عن الانسياب ، وامه لا تراه الا لماماً ، عندما تقدم له الطعام أو تحتاج الى بعض المال ، فهل تجد فراغاً هائلا لو انتهى ؟ .. »

وتلقى جوفه قدحاً آخر « اين الصحاب في هذه اللحظة .. هل هم يلعبون الطاولة .. هل يحتار النرد بين أيديهم ؟ .. والصغيرة الحلوة ، ما ذا تراها تفعل في هذه الفترة ؟ هل تلاحظ عندما تمر غداً في الصباح امام دكانه فتجدها مغلقة ، ليس فيها من تمناها أن تكون له ليهبها عصارة قلبه . ؟ هل تسأل جاره القصاب عنه ؟ ما ذا سيقول لها : انتحر ... أتراها تمسك رأسها بعصبية ، وتنفرج عيناها الحلوتان عن فزع وتردد : انتحر .. انتحر .. ولماذا ؟ ... ان جاره لا يعرف لا يعرف ما يختلج في نفسه ، سيقول لها بنبرة حزينة : والله اعلم .. فتجيب : يا حرام يا حرام الله يرحمه . »

« عجباً ولماذا تريدها ان تهتم بك هذا الاهتمام ، اتراها تلحظ ما بعينيك كلما تمر بك .. ؟ ما أسخف تفكيرك ... »

وشعر براسه يهبط بقوة فوق صدره ، ومد يده نحو القدح ، يحاول أن يمسكه .. واذا به يقع على الارض ويتحطم « أنت ... بعد قليل .. ستصبح مثل هذا القدح .. »

وهذه المرة ، أخذ الزجاجة يسد بفوهتها فمه ، وشعر كأن صدره يحترق ، كان يريد ان يتقيأ ، ولكنه لم

يستطع ، وشعر كأن ناراً تأكل معدته . حاول أن يقف . فما استطاع ، كانت الزجاجة مضمومة الى صدره بحنان .. كأنها حسبها الصغيرة التي تمر صباح مساء ، وهزها قليلا ، حتى عرف انه لا يزال فيها بعض من خمرة . . فأفرغها دفعة واحدة ، ولما خلعها عن فمه هوى فوقها الى الارض ، فتحطمت . وحاول أن يقف مرة أخرى . . واستند الى الجدار ، استطاع أن يستوي واقفاً ، ولاح له كأن المصباح الكهربائي يهتز بعنف مضن ..

واخذ راسه يدور . حاول ان يمضي نحو الحبل . لكنه شعر كأن غبشاً كثيفاً غطى عينيه . كان يريد من الخمرة أن تمنحه الشجاعة على تحدي القدر . لا أن تدفعه الى الجبن أكثر فأكثر .

واخذت جدران الغرفة تتقاذفه ، وشعر بالعرق يغمر جبهته . وأصبحت الارض تميد تحته .. والغرفة تدور بسرعة مجنونة كأنها دوامة .. ثم .. ثم هوى بقسوة على أرض الغرفة .. وغاب عن الوعي ....

وتفجر الصباح ينم عن يوم جديد ، لكنه غريب عن الايام السابقة . .

ودخلت الام ، فعجبت من حال ابنها ، وادركت أنه قاسى ليلة مريرة . ورفعته الى صدرها . ولمست جبينه بيدها . فاذا به ينطق ناراً ، فصارت تمسحه بخرقة مبللة بماء ، والدمع يتخطى مقلتيها بصمت .

واخذ يحرك راسه . « أتراك لا تزال على قيد الحياة ؟ .. هل انقذوك في آخر لحظة .. ؟ »

وحاول أن يفتح عينيه ، ولاح له وجه أمه كخطوط رسمتها يد طفل ، أو كظل وقع على صفحة ماء ، تداعبه نسمات عليلة .

وبدا وجه الام يظهر بوضوح .. رويداً .. رويداً .. بعد لحظة . نطق بهمس ضعيف : أمي .. أين أنا ؟ .. وأجابته وهي لم تزل تمسح الجبين الملتهب : في غرفتك يا بني . .

واستند عليها يريد الوقوف ، فشعر كأنه محطم الاوصال . كأن أعضاءه قد انفصلت عن بعضها .

واسرعت . فمدت له الفراش .. واستلقى ، كأنه سكر في اللحظة ذاتها .. وراح يغط في نوم عميق .

وفي ثلاثة أيام متواصلة ، لم يستطع أن يتحرك ، كأنه يضع على كاهله كل جبال الارض « لا أحد من الصحاب كلف نفسه السؤال عنه .. لو استطاع أن ينفذ فكرة الانتحار .. أتراهم يخرجون لتشييعه . ؟ »

وضحك من فكرة الانتحار .. وتصور كيف خطرت في باله .. فغرق في الضحك الممزوج بالألم « لقد تمنيت حتى الموت .. ومع ذلك لم استطع الحصول عليه .. لا يمكن لانسان ان يعاكس قوة الاقدار » .

وفي اليوم الرابع ، جر نفسه الى السوق كالعادة ، ثم عاد الى الدكان والناس لم يفيقوا بعد ، وبدأ يصف الفاكهة ، الفاكهة القديمة أصاب أكثرها العفن .. فقذف بها في سلة منزوية .

ومرت الصغيرة كعادتها ، ولم يصدق عينيه عندما رآها تتجه نحوه ، والقت تحية الصباح « آه .... ما أعذب صوتها » ولم يستطع الا أن يهز برأسه ، وطلبت منه بربع ليرة تفاحاً ، فأسرع ينتقي لها أفضله ، ولعله وضع لها أكثر بكثير من الربع ليرة . وسألته عن الغيبة ، فلم يصدق ما سمع ، وأجاب : مريض . . فسمعها تقول برقة اذابته : الحمد لله على العافية ، ولما شكرها متلعثماً ، انحدرت تمضي في طريقها .

وكاد يجن من السعادة التي غمرته « هل بدأ القدر يمد له يده مصافحاً ... أمنياته الضائعة .. هل بدأت تعود اليه .؟ هل يمكن للايام التي تمر .. أن تخبيء لنا من الحوادث ما لم نأمله فيها على الاطلاق ؟ .. »

أتراه يظل في حياته الرتيبة المملة الى الابد ؟ ام ترى أيامه قد بدأت تتحول ، وانه سيتكلم كالصحاب ويقول لهم : لي فتاة .. كما لكم .. سأتزوجها ..

وتمر أيام ، كالعادة في رتابتها ، وتعود الصغيرة تمر أيضاً كعادتها ، ويلمح في عينيها اللامبالاة كالايام السابقة . أصبحت تمر دون التفات نحوه . . دونما شعورها بهذا الذي يتألم لأجلها .. ويجد حياته فارغة دونها .. يا لحياته .. لكأنها بدون معنى ..

وشعر آنذاك بحاجته للبكاء .. فأدار وجهه نحو الجدار وأخذه بين كفيه وراح ينتحب .

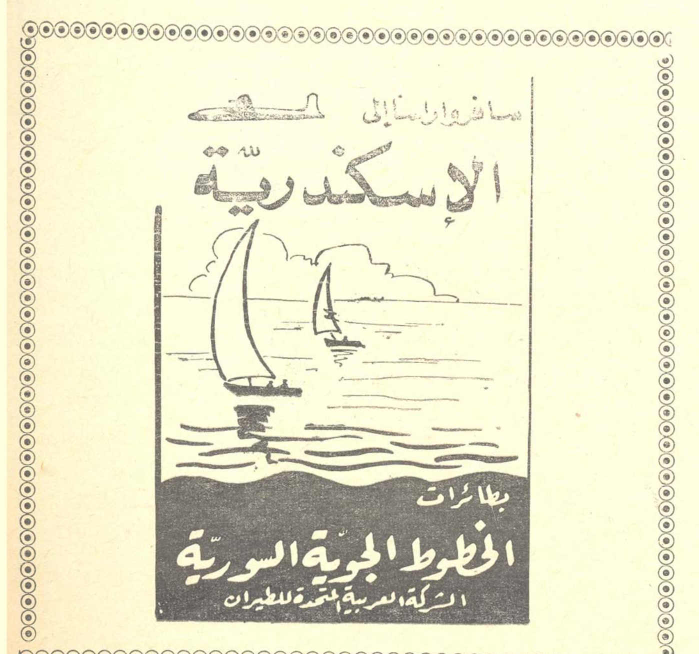
* * *

يذكر كل هذا جيداً .

ثمة شيء الآن يخنق قلبه ، وقدح الشاي يرتجف بين يديه « أمنياتي ضائعة .. حياتي لا معنى لها . ولكن . علي أن اعيش .. »

دمشق : ياسين رفاعية

من « جمعية الادباء العرب »



الطائر العائد

شعر : نديم محمد

تململ في أعين الجاهلين سؤآل ... فيبدهني حائرا
ألشاعر الدل أن يجعلوه نبياً على أمرهم ظاهرا
اذا استكبرت معجزات البيان وجل النبي استوى شاعرا



ودامي الجراح اذا هجته تغنى فكان اللظى هادرا
له النسب الحر لا باهتاً وراء الظلال ولا ضامرا
ألح على قلبه سائلا وشد على جرحه عاصرا
فأعطى وروى أعز الجنى وأغلى الفدى ساخياً ناصرا

روى مضجع الشمس في عينه حكايا المنى رغداً هامرا
فلم عن الحلم أجفانه وضج الاباء به ثائرا
كفى العربي سري الاباء وأكرم به نسباً طاهرا
أيغرقه في الهوان النعيم فيفضي على ذله صاغرا ؟ !
وجنت قواف ويسكر لحن فيجري بهن دماً فائرا
قصائد راعفة باللهيب هوادر لا ترهب الصافرا
فما انسكب اللحن الا سقى غليلا على ضلعه زافرا
ولا رهجت ساحة لم يفض على رهجها لهباً زافراً
تنام الكلوم على جمرها ويبقى مهدهدها ساهرا

تهادر في الجو غيظ الرياح فمر على غيظها طائرا
وهز جناحيه نحو النجوم وشق بها دربه عابرا
عزيز على النسر وطء السفوح وقد ألف الراسخ العامرا

نسيت محاضير عيني وكنت لطائف غمضتها ذاكرا
غريبين كنا وراء البحار أخاً هاجراً وأخاً هاجرا
أما وهوى الأرز والغوطتين يميناً حلفت بها جاهرا
ذكرنا ولم ننس أرض الجدود ولم ننس حياً ولا سامرا
ولا ريفنا ملعب الساجعات ولا الحقل والسنبل الفاخرا
ولم يخفض البغي منا جناحاً تصعد مستعلياً زاجرا
ولا غض ناظرنا للقوي ولو غض نفقأه ناظرا



أخ في الجراح شكانا الحديد ولا نشتكي حره الساعرا
ومن يتقي عثرات الحظوظ فلا نتقي حظنا العاثرا
فنحن الرياحين يغلونها ويرمونها .. حطباً خاسرا
ونحن مصابيحهم في العشي ويطفئها صبحهم سافرا
ونطعمهم حب أكبادنا ويأكلنا جوعهم كافرا
خطونا على شوكهم فاستراح على شدقه دمنا ساخرا
وكم شربوا دمعنا المشتهى وكم نشقوا آهنا العاطرا
نرف خطاهم عبيراً وظلا وغيماً على زرعهم ماطرا
وهم بنا بطشهم فانبرى له عزمنا مازقاً ناثرا

يقولون عنا أسارى الخيال فهل جربوا منعنا الظافرا
وهل عرفوا الله الا بنا وهل كان الا بنا فاطرا

في قلبنا رحمة وشئناه في روحنا خاطرا
م الحسن أن يزدهي ونمنمه ألقاً طافرا
للروح في الناي . خمراً ومن جعل الباهر الباهرا
الذوق . من لون الحسن وسوى وأسمى الهوى غافرا
ور الحق حقاً فأمسى وأضحى بنا ربه قادرا
ذين صنعنا الحياة وصغنا القوى نغماً ساحرا
حار ونرقى الكواكب جهداً ، يذمونه ، بائرا
دم عزاً يطول وملكاً على أهله جائرا
العيش خلف التراب وقد غصبوا عيشنا الوافرا
من آينا . . . مطرفين بأحسانها الأحمق الهاذرا
الوجوه بأقلامنا فمال مصعرها . دائرا
البقاء ضياعاً وفقراً وجمرا على جرحنا صاهرا
رنا له الغاليات فأرخصنا جاحداً ناكرا

متاه الجراح الرهيب دماً ثائراً وفماً باسما
طن حقه أن تخل على ناره كاسياً طاعما
ه البغي ناب الحديد فألقمته عزمك الصارما
ما رغت في العاديات ولا كنت عن بأسها نائما
ك الحوالي الرطاب فطوفت في ظلها حالما
رحبك سحر البيان فرعت به الحلك الجاثما
ملاحم تزأر فيه شراراً وسيلاً تهدره عارما
وأومن بالشعر ناراً واحرق وجهي على جمرها ناعماً

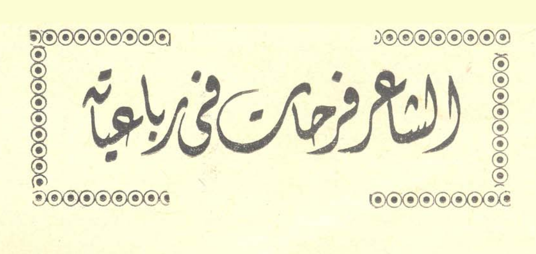
بلادي أحبك نصلا تغور . . . . في أضلعي ودجى قاتما
أحبك يعرى ويدمى جناحي على السفح مرتمياً راغما
أحبك ضعفاً يهد سلاحي وفقراً على موردي حائما
أحبك موتاً . . . كفى أن تعيشي ويبقى هوى أمتي سالما



أخي في متاه الجراح الرهيب فماً باسماً وندى غامرا
دعاك الى صدره مثخن ينهنه من دمه صابرا
يحن ثراه الى شمخة يدل بها مائجاً مائرا
فأنزله الحب في أهله وكان الهوى قادراً قاهرا
خبرت فحدث عن الغادرين حديثاً يرد الصبى حاضرا
فأبصر كيف استطال الظلام ونمش دجاه الضحى الزاهرا
وكيف تمعي الذئاب الدماء وتروي بها النهم الفاجرا
وكيف تروع الأمين الوديع ولا تبدد الهائج الكاسرا
فكم خضب الغرب أحقاده بآلامنا ظالماً آشرا
وأخرس بلبل أعراسنا وغنى لنا خاتلا ماكرا
وكم لطم الزهو في صبحنا وقنعه زائفاً سادرا
وقطع أثوابنا في الظلام ولملم أذياله سائرا
فهل أقعدت ربوة صاعداً وهل كبحت لجة ماخرا ؟ !
يميناً بأسمرنا لن نكف عن الموت أو نسحق الغادرا
بلادي ويكرمني باسمها ندائي . . . فأرجعه شاكرا
فطرت على حبها أغنيات هي الخمر من كبدي قاطرا
أسلسلها عبقاً سافحاً مرقرقه . . . ذارياً ناشرا
وحيناً أفجرها عاصفاً يجلجل في ساحها زائرا (*)
وتنزف حيناً دماً يتهادى على وردها خاضباً عافرا
فلا سلمت رأفة في الجهاد ولا مشرباً في العدى فاترا
بلادي أحبك لا زاهياً بيسري ولا رهقاً حاذرا

٥٩/٦/٤ — نديم محمد

(*) من الزئير.



بقلم : سعد صائب

ماعرفت شاعراً عربياً معاصراً عبر عن وجدانه وعواطفه، وصاغ تجاربه الخاصة في رباعياته كالشاعر « الياس فرحات » وان قارئه ليتملكه الاعجاب من اجتماع الملكتين اللتين تكونان الشاعر ، وهما ملكة الخيال ، وملكة الاحساس ، يرفدهما عقل نير واع يعتمده الشاعر في ابداع الصورة التي يرسمها ، وتجلية المعنى الذي يضفيه، ومميزته أنه لا يتصنع أسلوباً من أساليب الشعراء الذين اصطنعوا « الحكمة » في أشعارهم ، ولا يمثل عباراتهم او يقلدها أو يحاكيها أو يسلكها في شعره ، بل نراه يترجم ترجمة صادقة احساسات نفسه ، وخلجات وجدانه ، ويعبر عن هذه الاحساسات وتلك الخلجات في سهولة ويسر ، ودقة ووضوح . ولهذا نرى في الآراء التي نثرها في « رباعياته » وفي نظرته الى الحياة ، ودعوته الصادقة الى التأمل فيها « جمالية العمل الفني » التي لا بد من توفرها لدى الشاعر الاصيل ، ولئن فسدت هذه الجمالية لدى غيره من شعراء الحكمة فلأنهم جسموا « الجانب العقلي » في شعرهم وتناسوا في كثير من الأحايين جماليته ، أما شاعرنا « فرحات » فقد ازدانت جمالية شعره اذ صور لنا الحالات التي خلقت عنده « التأمل العاطفي » بكل ما فيه من شفافية وايقاع وغنائية ، وبكل ما فيه من نعومة جرس ، وحلاوة اداء ! . .

ولعل من مهمة الشاعر الحكيم أن يصور لنا اخلاق عصره ، وينقل السمات التي تبرز ملامح مجتمعه ، وبذلك تتجلى الرغبات والميول في تصعيدها وانحدارها ، وفي انطلاقها وكبتها ، وتظهر الخطوط الرئيسية في الصور التي استمدها الشاعر من واقعه ، وكشف عن حقيقتها . . وتلك ولا ريب معاناة لا يقدر عليها أو يتصدى لها الا الشاعر الموهوب الذي ارتفع بعواطفه وسما بارادته ، والذي يحاول أن يشرح لقارئه رضاه وسخطه ، ويتكلم عن فرحه وحزنه ، ويكشف عن النماذج البشرية التي يلقاها والتي يغاير سلوكها سلوكه ، وتتنازع عواطفها وميولها المتباينة مع عواطفه وميوله أو عواطف وميول الآخرين ، وبالتالي يرسم شخصيات الافراد الذين يبادلهم عاطفة بعاطفة ، ويقاسمهم ما هم فيه من بؤس وآلام ، ومن فرح وترح . وهذا ما صنعه الشاعر الفذ « الياس فرحات » في « رباعياته » انه وضع أمام اعيننا ليس تاريخه النفسي وانفعالاته وضروب حياته التي عاشها وما لاقاه في هذه الحياة فحسب ، بل وضع أمام أعيننا (مجتمعه) ونزعات هذا المجتمع ، وقيمته الاجتماعية والاخلاقية ، ولم يمسخ البته العلائق التي تربط أناس هذا المجتمع بعضهم ببعض ، بل ظل محافظاً أشد المحافظة على الامانة الادبية ، لأنه رآها امراً ضرورياً للشاعر الحكيم الذي يعنى بتصوير الحياة ، ورسم التكوين الخلقي للفرد ، ووصف الالوان الحقيقية للانسان ! . .

وليس عجيباً أن يكون الشاعر حكيماً لأن من وظيفة الشعر « التعليم » و « الى عهد ارسطوفان كان مقام الشاعر في المجتمع هو مقام « المعلم » نجد هذا مفصلا في كوميديا « الضفادع » لارسطوفان حيث يقول لنا أسخيلوس الشاعر وهو أحد أشخاص المسرحية في حوار خيالي ان الصلة بين الشاعر والجمهور الذي يخاطبه تشبه الصلة بين المدرس بفصل من التلاميذ ، كذلك نجد يوربيد في ذات النص يقيس فضل الشاعر بمقدار ما « يهذب الناس في المدن ويرقى بهم » كما أن في السياق نفسه ما يدل على ان هذا الرأي كان الرأي الشائع عند الاغريق ، وفيه وردت أسماء اورفيوس ، وموسأيوس ، وهسيود ، وهوميروس على أنهم شعراء معلمون » (١) . كما نجد الشعراء المعلمين في مختلف العصور التي مرت بها أمتنا ، ويتجلى دورهم في أنهم استقوا حكمتهم من تجاربهم في الحياة التي عاشوها . فثمة العصر الجاهلي وقد عالج اغلب شعرائه أخلاق مجتمعه وعاداته ، وصور الذات وما تنطوي عليه في

(١) « فن الشعر ـ لهوراس » ترجمة لويس عوض ص٢٥ ـ ٢٦

ذلك المجتمع « فبدت لنا الفلسفة الجاهلية ـ من خلال شعرهم ـ فلسفة أخلاقية عملية ، بعيدة عن الماورئيات ، فلسفة مادية روحانية ، وفي روحانيتها مسحة أخلاقية كريمة » فهذا « أكثم بن صيفي » المولود عام ٦٣٠ م الذي يقول :

من استنام الى الأشرار نام وفي
قميصه منهم صل وثعبان

وزهير بن ابي سلمى الشاعر المشهور المولود عام ٥٣٠ الذي يقول :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ولبيد بن ربيعة المولود عام ٥٦٠ م الذي يقول :

وما المال والأهلون الا ودائع
ولا بد يوماً ان ترد الودائع

وطرفة بن العبد « وهو الشاب الذي انهالت عليه المصائب فابرزت شخصيته وانطقته بالحكمة التى نثرها في ديوانه ، فكانت مصبوغة بصبغة الوعي والحنكة » وقد قتل ولما يبلغ السادسة والعشرين من عمره (عام ٥٤٣ ـ ٥٦٩ م) وهو القائل :

الخير خير وان طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

واذا ما تخطينا العصرين اللذين أعقبا الجاهلية وبلغنا العصر العباسى وعصر الانحطاط نجد ان ثمة شعراء برزوا فى الطليعة واشتهروا بالحكمة ، فهذا ابو العتاهية الشاعر الزاهد الذي يقول :

اسلك بنى مناهج السادات
وتخلقن بأشرف العادات

وأبو تمام شاعر المعاني الذي يقول :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

والمتنبى وقد بدرت حكمته من نفسه وتجاربه والهامه وهو القائل :

ولذيذ الحياة أنفس في النفـ
ـس واشهى من أن يمل واحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وانما الضعف ملا

وابو العلاء المعري « وهو الشاعر الكفيف الذي انكفأ في ذاته على الوجود يتفهمه ويحلله من خلال ظلمة عماه ، وان في شعره حكماً كثيرة ونظريات واسعة النطاق » [1] وهو القائل :

قد فاضت الدنيا بأدناسها
على براياها وأجناسها
وكل حي فوقها ظالم
وما بها أظلم من ناسها

وليس من شك في ان مصدر الابداع في حكمة شعرائنا يكمن في أنهم خبروا الحياة خبرة واسعة وعجموا عودها ، وان القلق النفسي المتزايد ، واستغلالهم موهبتهم الشعرية وادراكهم عن طريق التجربة الحياتية تارة ، وعن طريق الحدس تارة أخرى ، قد عمق فيهم المعرفة ، وقوى الاحساس ، ومكن فيهم نشدانهم المثل الاعلى فأبانوا ـ بحكمتهم ـ عن تأثرهم ، وأفصحوا عما يتملكهم من أسى على مايبدو من طبائع الناس ، وما يظهر من متناقضات الحياة . . .

وشاعرنا « الياس فرحات » قد جدد للحكمة العربية شبابها ، بما تحتويه « رباعياته » من احساس عميق تختفي وراءه نزعة قوية لاذعة من السخرية تتناول المجتمع الذي واجهه ، والواقع الذي اتصل به اتصالا وثيقاً وهو القائل في المختال المتكبر :

رويدك أيها المختال كبراً
فهذا اليسر قد يتلوه عسر
وليس المجد في مال وجاه
ولكن النهى للمجد جسر
وان الحاسرين لديك ذلا
جميع حياتهم ذل وحسر
صغار اكبروك وليس بدعاً
فان الزيز بين النمل نسر

كما يختفي وراء احساسه تشاؤم يسوده حزن مكبوت، وتتغشاه نظرة فلسفية تحاول أن تبرز هذا التشاؤم الذي لا يلائم طبيعة الشاعر ، ولا يوائم ما تفيض به روحه من تطلع الى الحياة والسمو فوق الحقيقة المرة ، والارتفاع الى عالم اسمى « حيث يكون الاحساس متأثراً في رفق ، والخيال مهتاجاً في نظام ، والعقل في تمام الرضى » ولنستمع اليه يصف نفسه وأثر الزمان في صقله :

مشيت على بساط الارض فرداً
وأشواك الحوادث كالحراب
فهذبني الزمان وادبتني
نوائبه وعلمني اغترابي
اقول متى اجتمعت بمن توفوا
وقالوا ما رأيت على التراب
رأيت حقيقة وسمعت وهماً
فأغناني الشراب عن السراب

هذان لونان من ألوان سخريته وتشاؤمه استطاع فيهما أن يبرز لنا طابعه وبالتالي موقفه من « بعض الناس » في زمانه ، ومن زمانه ذاته ، وثمة الوان أخرى تزخر بها « رباعياته » تبلور « حكمته » وتجلو « تأملاته » . لنتمل هذه الصورة الرائعة التي رسمها لنفسه وهو يبحث عن انسان ذي احساس فلا يجده وكأنه « ديوجين » يحمل قنديله في رائعة النهار يفتش عبثاً عن الفضيلة ، ولكن شاعرنا لا ييأس كما يئس « ديوجين » لأن ثمة بصيصا من رجاء ينير طريقه :

لولا بصيص رجاء في النفوس لما
راقت لذي أدب في موطن كاس

---

(١) «الحكم والأمثال» لحنا الفاخوري ص٦١

يلقى الألوف من المستحجرين ولا
يلقى ولو جد فرداً فيه أحساس
بعض النفوس نسور كلما جنحت
للجو شدت على أعناقها الناس
فالعلم والحق والانصاف أجنحة
والجهل والبطل والاجحاف أمراس

ولننظر الى هذا التبرم والذعر اللذين يلقاذا بهما الشاعر ، وقد أحس بأنه أوذي في ضميره الانساني ، وهو يتطلع الى الذين استباحوا كل شيء في سبيل المال ، فباعوا عزتهم وعرضهم ودينهم ودنياهم من أجل الحصول عليه وتكديسه ، مشوهين بفعالهم جمال الانسانية ، مصغرين من شأنها ، فنراه يبكي عليهم في شعره مشفقاً راثياً لحالهم وهم عنه معرضون :

حولي من الناس أموات وما برحوا
يمشون كالناس من دار الى دار
أبكي عليهم بأشعاري فتضحكهم
مع ما تثير من الأشجان أشعاري
قوم يبيعون للشارين عزتهم
والعرض والدين والدنيا بدينار
لا يفرقون اذا آثروا أكللهم
تاج من الغار أم تاج من العار

ولنستمع اليه كيف يبدع في هذه الرباعية في تصوير الجشع ، ويفاضل في عاطفة ثائرة بين الذئب وهو يترك شيئاً للجائعين من الذئاب بعد أن يشبع ، وبين الانسان المترف البشم الذي يجور على اخيه البائس فيسلبه ما جمعه :

المرء شر سباع البر قاطبة
خبثاً وشر تنانين البحار معا
قولوا عن الذئب ما شئتم فسامعكم
بمثل غدر ذئاب الناس ما سمعا
الذئب يترك شيئاً من فريسته
للجائعين من الذؤبان ان شبعا
والمرء وهو يداوي البطن من بشم
يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

ولنرعو بهذا التحذير الذي يحذرنا به الشاعر من اغراقنا في تقليد الغرب وطغيان حضارته علينا بما فيها من محو لتقاليدنا ، وافساد لعاداتنا وأخلاقنا ، وكأني بشاعرنا « فرحات » ذاك العالم الاجتماعي الذي يعرف ما يناسب طبيعة كل أمة من عادات وتقاليد ومن أخلاق ومثل ، ومن أذواق ومظاهر ، فنراه يثور لضعفنا ويغضب من انعدام شخصيتنا حيال الغرب ، وخضوعنا خضوعاً أعمى له وتشكلنا بشكله تشكلا كاذباً :

للغرب في الشرق عادات مقدمة
كانت وما برحت أولى بتأخير
لا تتبعوها فكم من زهرة حسنت
في الناظرين وساءت في المناخير
يا أيها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وما ترضى بتسخير

الشاعر الياس فرحات في سطور

* ولد في كفر شيما بلبنان عام ١٨٩٣ ولم يتم تعليمه في مدارسها الاولية .

* في عام ١٩١٠ هاجر الى البرازيل واشتغل بالتجارة والطباعة وعمل بالصحافة .

* شارك بقلمه منذ فجر حياته في العمل على تحرير وطنه من الاستعمارين التركي ثم الفرنسي .

* بدأ بالزجل ثم حاول الشعر فنجح فيه نجاحاً باهراً ، وهو من العصاميين الذين تتلمذوا على أنفسهم

* أصدر في عام ١٩٢٥ أول انتاجه « رباعيات فرحات » وفي عام ١٩٣٢ أصدر جماعة من المهاجرين ديوانه الثاني « ديوان فرحات » وفي عام ١٩٤٧ ظفر بجائزة من المجمع العلمي المصري ، وفي عام ١٩٥٢ أصدرت مجلة الشرق في البرازيل ديوانه الثالث « أحلام الراعي » وفي عام ١٩٥٤ تألفت لجنة من كرام المهاجرين فأعادت نشر شعر فرحات في أربعة أجزاء .

* أسهم بشعره الوطني الملتهب في جهاد الوطن العربي ، وهو من شعراء الوطنية ودعاة الوحدة العربية .

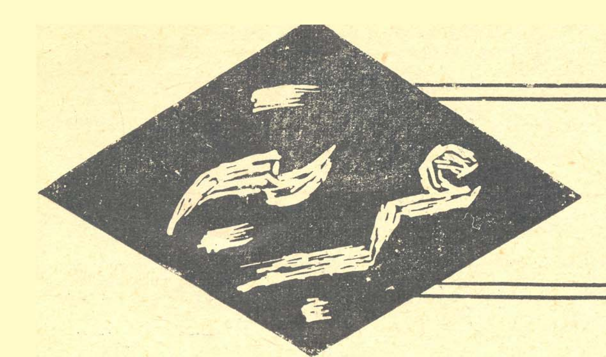
قولوا لكل أب في الشرق محترم
أن المراقص أبواب المواخير

هذا غيض من فيض مما تضمنته « رباعيات » شاعرنا الياس فرحات ، بدا فيها بارع التصوير لمجتمعه ، يقتبس منه ما يصوغه في حكمه ، وما يتغنى به في أفكاره وآرائه وتأملاته ، في واقعية وتركيز ، وفي أسلوب شعري سهل ممتنع واضح ، وفي صياغة موزونة مقفاة ، وفي تعبير موسيقى يعج بالصور ويمتلىء بالألوان، ويفيض بالدفء ، ويزخر بالنغم الحلو وكأنه النبع العذب الذي يأتيك خريره خافتاً ناعم الجرس حيناً ، ومتدفقاً قوياً عنيف النبرة صاخباً جياشاً أحياناً ، فيثير فيك الأحاسيس والمشاعر ، ويهيج الخيال ويقسرك على الاستماع اليه ، والاستمتاع بفنه في رضى واستسلام . ومبعث هذه الروعة التي نلقاها في رباعياته أن شاعرنا ابن التجربة ، هذبه الزمان ، وادبته نوائبه وعلمته غربته ، فوعى الحياة وهو بعد في فوعة شبابه ، فجاءت صوره الشعرية وتأملاته صادقة تحكي الحقيقة ، وترسم الواقع كما تعكسهما روح الشاعر الثائرة الفائرة . روحه التي وجدت نفسها .

بعد أن تطهرت بالتجربة .

فانثنت تتعبد في محراب الحق والخير والجمال ، وهي نقية أنقى ما يكون النقاء ، طاهرة أطهر ما يكون الطهر !..

دمشق سعد صائب



مُناقشات

الحرب الطبقية والتقدم الاشتراكي

بقلم :
غسان كنفاني

يفهم الماركسي من العمل النقابي أنه تنظيم الكراهية الطبقية ، وشحنها المتواصل ببذور التمرد العنيف حتى تستطيع بواسطة **العنف وحده** احلال ديكتاتورية البروليتاريا التي قال عنها « لينين » انها مرحلة مؤقتة ضرورية من أجل احلال مجتمع شيوعي ، بلا حكومة سوى ما تؤدي اليه مصالح الانتاج المشتركة ...

نقول **العنف وحده** ذلك ان « العنف » هو أهم ما في التفسير اللينيني للماركسية وهو الذي اعتمد من أجل « فرض » الاشتراكية العلمية تحت راية ديكتاتورية البروليتاريا – **التي تبدو أنها ليست مرحلة مؤقتة فحسب بل صفة ملازمة للاشتراكية العلمية نفسها كما تطبق الآن** – والعنف اللينيني ليس طارئاً على الماركسية كما يحاول مفسرو المؤتمر العشرين أن يقولوا ... بل انه أساس من الأسس الاربعة التي يعتمد عليها الديالكتيك المادي كصفة ملازمة للتغيير الكيفي ... ذلك ان تغير المجتمع من حالة طبقية الى حالة لا طبقية ليس تغيراً كمياً كي يعتمد التطور الطبيعي ، بل هو تغير جذري ، كلي ، أي كيفي ... والعنف هو صفة ملازمة لمثل هذا التغير .

شحن النقابي أولا ، ثم المجتمع ككل ، بالكراهية الطبقية هو اذن المنهج التقليدي للعمل الماركسي ... والمؤتمر العشرون للحزب الشيوعي الذي انعقد في موسكو عام ١٩٥٦ والذي تنازل عن (التقليدية) و (النسخ الحرفي) بأقصى ما يمكن من السطحية ، معرضاً الماركسية السنية ذاتها الى نقد عنيف من قبل الملتزمين النظريين ، لم يستطع أن يحرز أي مد عملي في سلوك الاحزاب الشيوعية في الشرق خاصة ، ذلك لانها كانت على يقين ، أو على شبه يقين ، بأن هذا التنازل كان منسجماً كل الانسجام مع مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) . والذي قدم هذا التفسير كان خروشوف نفسه حين تعجب من أن الاحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية بدأت تنحسر ، وبأن اليمينية بدأت تقدم للناس طمأنينة أشد ، وطرازا من التفكير يقدم حلولا أقل ضبابية ..

على أن حديث (الغاية تبرر الواسطة) في تاريخ الحزب الشيوعي حديث طويل ، والحزب الذي يخضع جيلا كاملا للتجربة كي (يتفرج) بعدها على النتيجة ، هذه النتيجة التي ليست سوى مقامرة غير انسانية – بغض النظر عن النتائج التي حصلت عليها اليوم والتي كان من الطبيعي أيضاً وبنفس المقدار الا تحصل عليها – ان مثل هذا الحزب يستطيع أن يعتمد مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) بكل سهولة وعدم اهتمام ... ومن الطبيعي أننا لسنا في طريقنا للخوض بمثل هذا الموضوع الطويل ، فالدخول الى نفق بلا نهاية ليس من الامور المستحبة تماما وخاصة على صفحات مجلة شهرية ولكننا نريد أن نطرح السؤال الذي يطرحه عادة الماركسي السني ... وبنفس الحماس تقريباً :

« – لماذا لا تعتمدون الحرب الطبقية ، أنتم أيها القوميون العرب ، كوسيلة من أجل احلال الاشتراكية ، التي تريدونها ؟ .. ان هذه الحرب قد نجحت في احلال الاشتراكية في روسيا ، ونجحت – مع قصائد ماوتسي تونغ وابتساماته – في الخطو أولى الخطوات في هذا الطريق الطوبائي ... وهي تعتمد حالياً في المناهج الاشتراكية اليسارية في أوروبا الغربية ؟ »

ان هذا المطلب الموضوع في هذا السؤال الاخلاقي ، يلخص بصورة مدهشة السبب الرئيسي لفشل الاحزاب الشيوعية في الشرق العربي طوال السنوات الطويلة الماضية ... ويعطينا سبباً من الاسباب التي جعلت المسؤول الشيوعي عن الكوموسمول المنعقد عام ٩٥٢ في موسكو يقول في تقريره عن الشيوعيين العرب أنهم يتمتعون بسطحية لاحدلها في فهم الماركسية وأنهم أسوأ شيوعيي العالم على الاطلاق ... ألا يحق لنا نحن ، مواطنيهم الذين نعرفهم جيداً ، أن نعقب على ذلك بأنهم لم يستطيعوا أيضاً أن يفهموا أمتهم ووطنهم على الاطلاق فأصبحوا كذلك الانسان الطريف الذي وجد نعلا فتركه ، ثم قرر الاتيان به ، فترك ناقته وعاد الى النعل فلم يجده . وحين عاد الى الناقة وجدها قد سارت ... وعز عليه اللحاق بها ؟ ..

ان النهج التقليدي للتخطيط الشيوعي يعتمد الحرب

الطبقية باطلاق لايتناسب البتة مع وقار الجدل الديالكتي الذي لا يؤمن بأي اطلاق ... « وافتعال » هذه الحرب **- ولنصر قليلا على كلمة افتعال -** ليس فهماً لطبيعة المجتمع بقدر ما هو نقل مسرحي لتمثيلية نجحت في في مكان آخر ... ولهذا السبب - سبب عدم الانسجام في المطالب مع طبيعة المجتمع - الفى الشيوعيون أنفسهم يدورون حول أنفسهم ويقعون في سلسلة من المتناقضات تجرهم الى تقديم فصل من الفصول الاخيرة للمسرحية اللا انسانية على مسرح بغداد ..

ولكن لماذا الحرب الطبقية ؟ وما هي :

لقد قدمت اللبرالية في القرن التاسع عشر ابشع مثال عن الطبيعة البشرية الميالة باصرار متصل نحو استغلال الآخرين - رغم ان اللبرالية تدعي العكس على لسان تشارلز فرنكل - ولقد وجدت في بناء السلطة السياسية يومذاك للحكومة ثغرات واسعة استطاعت أن تدخل فيها وتوسعها الى الحد الذي أدى الى شيوع أفكار اشتراكية غير منظمة استطاع ماركس ان يضعها في هيكل نهائي ، واستطاع انجلز ان يدافع عنها بجلافة نادرة ... ولقد كتب ماركس - في طريقه لوضع الهيكل العام لفلسفته - كتابه رأس المال الذي يعتبره الشيوعيون الآن اطلاق الاطلاق في فهم الرأسمالية فهماً كاملا ... ولكن ماركس الذي قال فى اخريات حياته انه ليس ماركسيا على الاطلاق ... قد فتح طريقا واحدا أمام الرأسمالية توافق فلسفته ، فجعلها تتطور باتجاه واحد فحسب ، اتجاه حتمي - لنلاحظ الحتميات في الفلسفة التي ترفض الحتميات - ينتهي الى الشيوعية رغم كل شيء حينما تتوسع التناقضات داخل البنيان الرأسمالي ، ويعجز الرقع عن سد الثقوب ...

الا ان الشيء الذي غاب عن ماركس . هو ان الرأسمالية قبلت التحدي ... وانها تطورت باتجاه مغاير للاتجاه المرسوم في الماركسية ... أول استجابات الرأسمالية كان فى ان الديمقراطية الغربية استطاعت - بعد جهد طويل - ان تدفع السلطة السياسية للتدخل في اللبرالية ... وتضع - شيئاً فشيئاً - قيود القوانين في اقدام هذه اللبرالية ، وتحقق بهذه الوسيلة تقدماً مطردا نحو مجتمع أقل تعاسة ...

اننا لا ندافع عن الرأسمالية ، بل ما زلنا نعتبرها واحدة من الاسباب التي انزلت فى البشرية عذاباً متصلا ... كل ما هنالك اننا نحاول ان نلغي قليلا من (قرآنية) الماركسية ...

لقد تطور التشكل السياسي للحكومات - هذه حقيقة ماثلة - ان الحكومة التي درسها ماركس قد تطورت تشريعياً ، وتشابكت مع المجتمع بصورة أكثر حدة وغنى ، وهكذا فلقد انتفى ، جزئياً ، الرأي القائل باستحالة الوصول الى الاشتراكية عن طريق التطور الديمقراطي ... اننا لا نملك الحق في أن ندفع الى حلوق الناس جرعات من فلسفة « أصبحت ملكاً للقرن التاسع عشر ... » كما قال نهرو .. وعلينا أن نفتش ، في هذه الحالة ، عن أكثر الوسائل انسانية من أجل اسعاد الانسان ، وان استحال ذلك ، فأقلها وحشية ... وليست الحرب الطبقية كذلك ...

ان السؤال ما زال - على أي حال - بلا جواب : « لماذا لا يعتمد القوميون العرب الكراهية الطبقية كأسرع وسيلة من أجل احلال اشتراكية حقيقية ؟ »

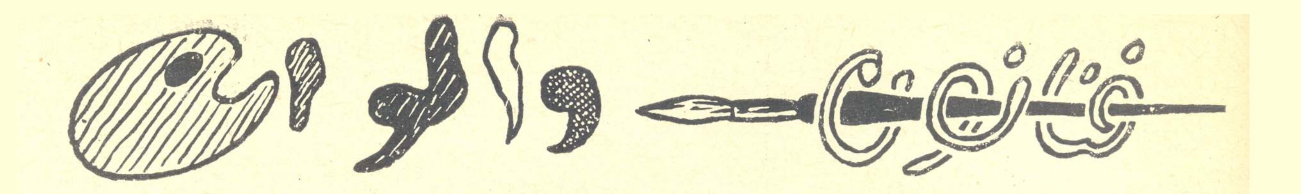
ان المجتمعات ذات الجذور ... المجتمعات المتحدرة باتصال من عرق حضاري واحد ... المناضلة من أجل اكتمال وجودها بنفس واحد ... المحافظة ، عبر عصور من الاضطهاد ، على لسان واحد ... المتألمة بضلوع واحدة ، ان مثل هذه المجتمعات تتمتع في تكوينها البشري بتماسك اجتماعي مذهل ... انها مجتمعات أرقى تكويناً من البربرية .. وأكثر ايماناً بجدوى العلاقات الخلقية بين أفرادها من مجتمعات بلا رسوبات حضارية ... وهكذا فان الحفاظ على هذا التماسك ... وتحقيق المحتوى الاشتراكي في هذا الاطار الرائع من الوحدة المتصلة عبر القرون ، هما رسالتا الاشتراكيين الحقيقية ...

وبالاضافة لذلك كله ، فان المجتمعات الزراعية مجتمعات خالية من الحس الطبقي بطبيعتها ولهذا السبب ، أغلب الظن ، اعتبرت الماركسية الفلاحين « بورجوازيين صغاراً » لا يصلحون كالعمال للثورة الطبقية ... فعلى أي اساس اذن ، نريد أن نشحن المجتمع بالكراهية الطبقية وهي غير موجودة أصلا ؟ ان هذا الكلام لا يعني الحفاظ على الاوضاع الاقطاعية - فيما لو وجدت في أي مجتمع زراعي - على حالها ... ولكنه يعني أن وسيلة من الوسائل لا تصلح لتطوير هذا المجتمع ... وان علينا التفتيش عن وسيلة أشد تماساً مع طبيعة التكوين المادي ، والخلقي لهذا المجتمع ...

لقد وقع (شوآن لاي) في مؤتمر باندونغ على قرار المؤتمر بأن حضارة المنطقة مبنية على أساس روحي ... فهل كان (شوآن لاي) يعرف أي طعن فلسفي يرتكب بحق الماركسية وتفسيرها للتاريخ وتحليلها للمجتمع ؟ .. أغلب الظن أن مؤتمر باندونغ قدم لشوآن لاي نموذجاً ، بل نماذج ، من الشعوب التي تقوم حضارتها الخلقية الآن على أسس روحية - بغض النظر عن كونها صحيحة فهي موجودة ومؤثرة - فهل من المنطقي أن نقيم علاقات المجتمع ، من جديد ، على أسس مادية ، ناسفين ، في لحظة واحدة قروناً طويلة طويلة من الجذور الانسانية المتينة ؟ أليس من سبيل آخر أكثر انسانية وجدوى ؟

بلى ... لقد نشر اتحاد الاشتراكيين الانجليز قبل عام بيانه الموحد معترفاً فيه بصراحة مدهشة بأن التطور الاشتراكي في بريطانيا لم يرفض على الاطلاق في برنامجه التطبيقي النظرية القائلة بامكان التطور من الداخل ... وكلنا يعرف جيداً بأن الاشتراكية في بريطانيا قد استطاعت أن تخطو خطوات رائعة دونما حاجة لاعتماد ديكتاتورية البروليتاريا الشيوعية ... وبالاضافة لذلك ، فلقد استطاعت المشاريع الاشتراكية في بلدان أوروبا الغربية أن تخطو الى الامام بفضل التكوين النفسي ، والثقافي ، والاجتماعي لشعوبهم ... فيما عجزت

البقية في صفحة « ٣٣ »



الآثار الفنية في بناء الاونسكو الجديد

بقلم : عفيف بهنسي

مدير الفنون التشكيلية والتطبيقية

منذ شهور ، افتتح في باريس بناء الاونسكو الجديد ، وهو يقع خلف المدرسة الحربية ، أي على خط مستقيم مع حديقة مارس وبرج ايفل وبناء قصر شايو . وقد أتيح لي أن أكون من بين الذين زاروا البناء الجديد في بداية أيام افتتاحه .

ولقد أحدث بناء الاونسكو ضجة كبيرة في جميع الاوساط اذ اعتبرت طريقة بنائه ثورة في تاريخ هندسة البناء في باريس ، نظراً لمخالفته جميع قواعد الهندسة التقليدية واتباعه أسلوباً معمارياً خاصاً يستند الى اتجاهات المدارس الحديثة في باقي الفنون التشكيلية . واعتبر بعض النقاد ان اقامة بناء دولي في قلب باريس ، يعتمد على أصول متطرفة في هندسة البناء ، مما يشوه طابع المدينة الذي يتصل بتاريخ عريق في فن العمارة الكلاسيكي . ورأى فريق آخر ان اقامة هذا البناء معناه تثبيت الاتجاه الحديث ، واعتراف رسمي دولي بالمعنى الجديد الذي تتضمنه الفنون التشكيلية .

غير أن ما اريد أن أقصر الحديث عنه الآن ، هو الآثار الفنية التي زينت هذا البناء ، وأثارت أكثر من مشكلة ، وأهم هذه المشاكل ، مشكلة التجريد في الفن ، ومشكلة التعبير القومي ، ومشكلة المضمون ، ومشكلة الوحدة والانسجام وغير ذلك من المشاكل .

والآثار الموجودة في بناء الاونسكو هي لوحات جدارية ، ولوحات زيتية ورسوم على الخزف (السيراميك) ونحت وحفر نافر .

وأول ما يطالعنا من الآثار لوحة بيكاسو الجدارية ، وهي لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها ثماني أمتار وعرضها عشرة تقريباً وهي بشكل شبه منحرف ، وقد رسمت على قطع خشبية مستطيلة ، واللون الغالب في هذه اللوحة ، الازرق السماوي ، وموضوعها خمسة أشخاص عراة بأوضاع مختلفة رسم كل شخص بخطوط خاصة وبألوان موحدة . والصورة تبدو بمنتهى البساطة وهي تحمل آخر تطورات الفن عند بيكاسو .

ولقد توقع النقاد ان تكون لوحة بيكاسو قفزة عبقرية من قفزاته الكبيرة التي تمثلت بصورة خاصة في لوحتيه الكبيرتين غارنيكا ، وحرب وسلم . ولكن هذه اللوحة رغم أهمية مقامها في دار دولية قد تصبح مع الزمن أثراً تاريخياً هاماً ، فانها تبدو بسيطة سهلة فيها من الاختزال والرمز ، أكثر مما فيها من الدراسة والجهد .

وفي قاعة الاجتماعات الصغرى علقت لوحة للفنان المكسيكي (روفينو تامايو) وهي ذات ألوان حمراء قاسية أضعفت من أهمية الخطوط والرسم وطغت على مجمل اللوحة .

وفي طابق المقاهي من بناء المكاتب الادارية ، يوجد ثلاث لوحات كبيرات ، واحدة للرسام الهولندي (كارل آبيل) وهي لوحة تجريدية عنيفة هائجة ، تبدو وكأنها تمثل اعصاراً وحشياً يكاد يهدد مصير الانسانية ، وفي اعتقادي ان هذه اللوحة تبتعد بمعناها الذي تعبر عنه بالمساحة اللونية الثائرة وبالحركة الطائشة المجنونة ، عن الهدف الهادىء السلمي الذي تتجه اليه مؤسسات هيئة الامم . هذا اضافة لعدم انسجامها مع طريقة البناء التي ، اذا كانت طريقة حديثة فانها طريقة جذابة ومريحة .

واللوحة الثانية هي للرسام الايطالي (أفرد) وهي لوحة جدارية كبيرة تغلب عليها الالوان الشفافة المعدنية ، واللون الاسود الحيادي ، وتعتبر هذه اللوحة من أنجح اللوحات المعروضة .

ان (أفرد) في هذه اللوحة ، كما في جميع لوحاته ، يتجه اتجاهاً شخصياً محضاً وهو يعارض بذلك ، (پيت موندريان) والمدرسة الهولندية التجريدية ، التي اعتمدت أصولا وقيوداً خاصة في التجريدية . وافرد يرتكز في رسمه الى عفويته الخاصة للتعبير عن تناغم شاعري داخلي . ولقد أعجب أكثر الفنانين والزائرين بلوحة افرد واعتبرها البعض أحسن اللوحات الموجودة على الاطلاق .

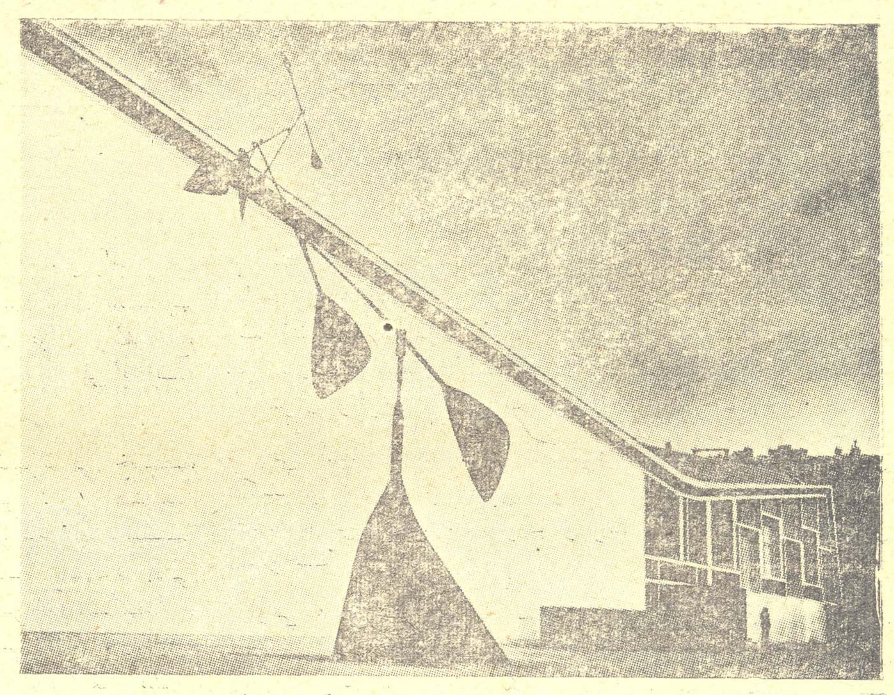
وهناك لوحة ثالثة للفنان الشيلي (روبرت ماتا) وهي لوحة كبيرة ، يغلب عليها اللون الازرق وتعتبر من اللوحات الضعيفة .

وأهم ما يزين الساحة الداخلية الواسعة ، جدار حجري

بارتفاع مترين وعرض عشرة أمتار عليه من الجانبين ، رسوم للفنان الاسباني المعاصر (جوان ميرو) . ولقد لخص جوان ميرو في هذه الرسوم طريقته الزخرفية المأخوذة عن التوريق العربي ، والتي تعبر عن روح ومعنى اسبانيا كما قال همفوي مرة ، واللوحة تتضمن أشكالا جد طفولية وساذجة ، وجد مجردة مبهمة . ولكنها مع ذلك تشيع نوعاً من الفرح الهازل وتعبر عن شاعرية رقيقة أصيلة .

(جان آرب) يجنح في لوحته النحتية النافرة الى تمثيل الكتل تمثيلا تجريدياً متقناً ، ولكنه لا يخلو من جمال وروعة .

أما الحديقة . فقد قام بتنظيمها على الطراز الياباني الفنان (نوغوشي) وقد استحضر لتجميلها أحجاراً فنية رائعة نقشت على الطريقة اليابانية ، وكتلا خشبية كبيرة قطعت بأشكال هندسية منتظمة ووزعت بطريقة فنية فبدت وكأنها لوحة تجريدية نافرة . غير ان هذا الترتيب



نحت متحرك للفنان

الامريكي كالدر

ولقد نفذت هاتين اللوحتين على الخزف (السيراميك) المقطع الى ألواح مستطيلة ومرصوفة كأحجار البناء غير المنظم . ولقد قام بتنفيذ ذلك (ارتيجاس) الاخصائي المشهور بالسيراميك .

ورغم جمال هاتين الموحتين ، فان تقطيعات أحجار الخزف قد شوهت الرسم وأعطته طابعاً جديداً والوانا تختلف عن أوان ميرو الاساسية .

وفي نفس الساحة الداخلية ، قرب المدخل الرئيسي ، انتصب عالياً تمثال (كالدر) الاميركي ، وخلفه جدار قاعات الاجتماع الذي يشكل قاعدة خلفية لهذا التمثال . وعندما نسمع عن تمثال يتبادر الينا اننا سنكون أمام قطعة كبيرة من الحجر أو الرخام ، منحوتة ومشذبة على هيئة ما ، ولكننا مع كالدر ، نكون دوماً أمام طرائف غريبة من التماثيل المعدنية المتحركة . ولذلك فاننا لن نرى دوماً نفس الهيكل التجريدي القابع في حديقة الاونسكو . سيذكرك هذا التمثال أن الحركة الطليقة تقدم لك وجوداً جديداً متطوراً ، كما يقول كالدر .

ولكن تمثال (هنري مور) الحجري يعيد الى الذاكرة الاسس الاولية للبناء النحتي ، ويقدم صورة تعبيرية مشجعة ، لها قرابتها المعقولة للواقع الحي . بينما نرى

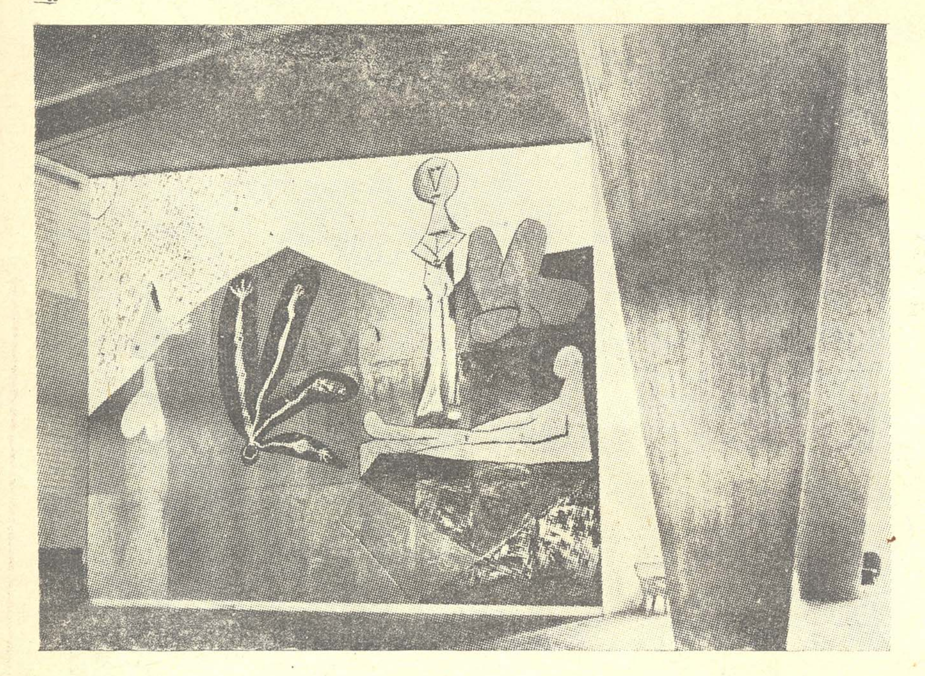
والتنسيق الدقيق انما يناسب حديقة صغيرة في بيت ياباني خاص . ولذلك فقد بدت هذه الزاوية الجنائنية صغيرة منزوية .

هذه أهم الآثار الفنية العظيمة التي زينت قصر الاونسكو. وأهم المشاكل التي أثارتها ، انه لم يراع فيها جميع الاتجاهات الفنية الحديثة ، وانما اختصت باتجاه وحيد هو الفن التجريدي ، بأشكاله المختلفة باختلاف القوميات ، وقد برر ذلك رئيس لجنة الانتقاء السيد (پارا پيريز) مندوب فنزويلا بأن ما يهمنا هو هذه المرحلة التي نعيشها ، اننا نريد أن نسجل هنا في هذا المكان صفحة من تاريخ الابداع الفني ، هذه الصفحة هي آخر ما يمكن أن نقرأه ونحن نفتتح هذه الدار .

ولقد أثارت مجلة « هذا اليوم » الفرنسية ، مشكلة فقدان الانسجام بين اللوحات المعروضة ، وأسلوب البناء ، ورأت أن أي اللوحات لا يمكن أن يتفق مع الهندسة المعمارية لبناء الاونسكو . والواقع أن في ذلك بعض الظلم ، اذ أن اللوحات والآثار الموجودة ، اذا كانت تعبر عن الطريقة التجريدية المنتشرة في جميع أنحاء العالم ، فانها بذلك انما تشكل وحدة متماسكة فيما بينها ، تجعلها قادرة على تطعيم البناء وهندسة

نفسها بطابعها الموحد ، وهذا ما لاحظته مجلة «الفن» أما مشكلة المضمون التي أثارها أحد أعضاء لجنة الانتقاء والتي جعلته يعارض في أكثر اللوحات المعروضة، فلقد وجدت جوابها في طبيعة الاتجاه التجريدي في الفن التشكيلي .

عفيف بهنسي



لوحــــة بيكاسو

بقيــة المنشور على صفحة «٣٠»

(الاشتراكيـة العلميـة) أن تخطو أي خطوة في أوروبا الشرقيـة بسبب من اقترانها مع الاستبدادية السياسية التي تبرر وجود استعمار سوفياتي ، بكلمات أكثر تزويقاً، وأقل نشازاً ...

والى ذلك كله ، فلنعترف بأن تكويننا الاقتصادي لم يتم بعد ، بل هو لم يبدأ - بالنسبة لصناعات دول أوروبا وأمريكا - ان السلطات التي تمنحها التشريعات للحكومة الحديثة تتيح لها المجال للتدخل في الاقتصاد الناشيء ، بقدر متزايد ، من اجل الغاء التجمعات العمالية البائسة التي كانت تتسرب من ثقوب التكوين السياسي للحكومة واضطراب سلطتها على وسائل الانتاج ...

اننا نستطيع اذن أن نهيكل البنيان الاقتصادي بالصورة التي تتلاءم مع متطلبات المجتمع دونما حاجة لنقل وسائل لا تتلاءم مع تكويننا الاجتماعي المتشكل منذ زمن طويل .. ان البرمجة ، بكل ما تحوي هذه الكلمة من معنى علاقة الدولة بالاقتصاد ، كفيلة بالحفاظ على التماسك القومي الذي يستطيع أن يؤدي من خلال طمأنينته رسالته الانسانية ...

لقد قدم لنا العالم نماذج من المحاولات الانسانية لاحلال الرفاه من خلال الايمان بالشعب ، هذا الايمان الذي يحدد قيمة النضال كله ، الايمان بأن الشعب ليس قطعاً على الاطلاق ؛ - حينما ابتدع غاندي نضال الساتياغراها وسار أمام آلاف الهنود يستقبل الرصاص بصدره الناحل المضطرب بايمان أسطوري ، انما كان يعبر عن أعمق عنصر في الطبيعة الهندية وأروع فهم للنفسية المؤمنة بحقها الى الحد الذي ترخص الموت من أجله ، ومن هنا كان نجاحه ... غوصه في أعماق الشعب المتكون من أصول حضارية لا تنقطع ولا تتمزق ...

وحينما عاد الفيلسوف الهندي (نارايان) من اميركا ، رفض أسلوب غاندي المسالم في النضال ... كان يومها يعتمد الماركسية بكل حماس الطالب الذي أهدي منظاراً لأول مرة فرفض نزعه .. وقاوم غاندي بكل قواه ... ولكن غاندي لم يكن فرداً ، كان حضارة ، وهل من السهل أن يقف فرد أمام حضارة .

ثم ثاب نارايان الى رشده ... وآمن بالغاندية أكثر من غاندي نفسه ... وتطوع كي يقود حركة « البودوان » أغرب حركة في التاريخ الانساني كله ... هي حركة توزيع الاراضي الطوعي ... وبكلمة أشد وضوحاً حركة الغوص الى أعماق النفسية الهندية الخيرة من أجل العمل على رفاه الآخرين ... ولقد نجحت الحركة ...

ان فهم الشعب يجب أن يسبق فهم أي فلسفة لشرحه .. ومن هذه النقطة يجب أن تنبع المناهج العربية للتطبيق الاشتراكي ... فالقومية العربية التي برهنت على أنها مد تقدمي في الميدان السياسي يجب ان تبرهن على أنها ذات محتوى اجتماعي تقدمي ... ومقياس تقدميتها هو مدى اقترابها من فهم الشعب فهماً صحيحاً ...

ان اعتماد (السلام الاجتماعي) منهجاً لاقرار الرفاه هو عمل متجاوب تماماً مع الاصول الحضارية للقومية العربية ... وفي داخل التماسك السياسي الضروري رفضت القومية الوسائل الطائفية ، والطبقية ، والاممية لاحلال الطمأنينة ...

كلمة « السلام الاجتماعي » تلخص المحتوى الحياتي للاطار السياسي الذي هو المظهر الاساسي الآن لتحرك القومية العربية نحو الصعود .

غسان كنفاني - دمشق

لوحات انسانية

بقلم

محمد حيدر

اني جائع ، ومسعور الى جرعة من الخمر . أبحث الشوارع بحثاً عن اللاشيء ، ثم أقبع الساعات .. ساعات طويلة من الحرمان والانتظار ، وأنا أتفرس الزحام في ذلك المقهى الضائع .. من مقاهي دمشق !

أتسول الدخان من الاصدقاء ، وأطلب لقمة الخبز ، وأبيع عمري في سبيل جرعة من الخمر !

سمي الابيض ! كم أشتهيك يا أيها السم .

قريتي الصغيرة ، تركتها منذ سنوات . وعينا أمي الحزينة تمزق قلبي في شوارع دمشق . في مدينة التسول ، والتشرد والضياع !

أتذكر أيامنا السابقة ، أيان كنت بشماً من الخبز والدفء والحنان .



هذه اللوحات .. لا هي بالقصة ولا بالمقال ! ولكنها صور من الحياة لأشخاص نعرفهم ونعيش معهم ، أو نسمع بهم كل يوم .

أما الاسماء فلا تهم ، لاننا لا نرسم الاشخاص .

أنا أقدس الكلمة .. وفي دمي يكمن الحرف ! أبنيها على دماري الفكري ، وأعطيها كياني باخلاص مطلق ـ أحرفي الملعونة تغرز مخالبها في الدم ..

أمامي الورق ، وأنا أريد أن ألطخ الفراغ الابيض . . أريد أن أكتب لأعيش ! ..

اني غريب وجائع ! ولكنني أملك الحرف .. أكتبه مغمساً بالدم !

نشرت قصة منذ أيام . كتبتها عن الحب والحرمان.. عن البؤس .. والانسان الذي يبيع عمره في سبيل ابتسامة عارية ، وكأس من الخمر .

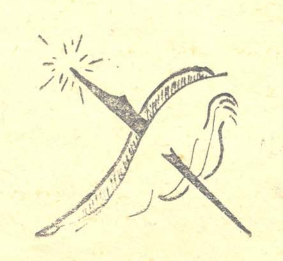
لا زلت أتفرس الزحام بعينين بليدتين . وصاحب المجلة يستحثني بين حين وحين !

ـ أكتب .. شيئاً لهذا العدد ! آخر مهلة اليوم .

ـ انني جائع ، ولا أملك ثمن الورق . ويضحك . . كل شيء على ما يرام !

سيارته قريباً من الباب .. وجيبه عامر بالنقود ، ونظارته الأنيقة تلمع على عينيه !



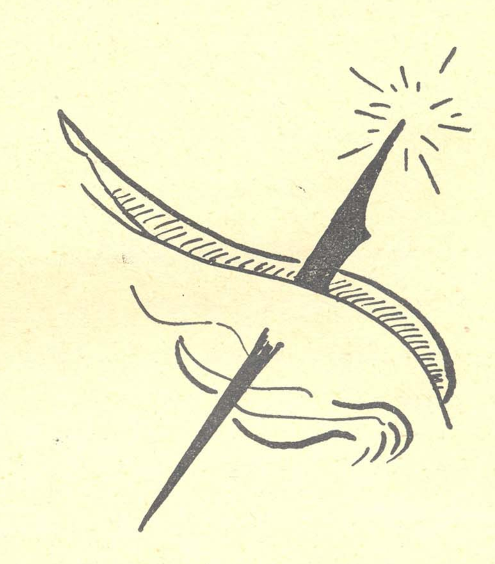


ويخرج بي من دمشق ! لك كل ما تريد ..

لقد وضعني في مكان جميل ، يستحث الخيال كما يقول ، واشترى لي صفحات من الورق ، واقداحاً من الخمر .. وعلبة من الدخان ! ..

الساعة التاسعة ، مع الصبح الجديد .. ليوم آخر أسود ، من الايام .

ـ الحادية عشرة ، الثانية .. أم الواحدة ؟! .. متى أعود ؟



سيكون المقال جاهزاً .. أليس كذلك ؟ سأعود في الموعد المحدد .

ويمضي رشيق الخطى .. ويدس في جيبي ورقة أو ورقتين .

أمامي الورق .. الفراغ يأكلني كالحقد . عيناي مصلوبتان على البياض ، والألم الحرون لا يود الحراك .

صخب ... وضجيج يطرق من جديد مسمعي .

أب .. وأم ، وأطفال صغار . ويجلسون قريباً الي . وحنان دافيء يتفجر من القلب ويفيض من الوجوه

خالو .. بابا .. ماما .. لا تقع !

يا ثدي أمي الحنون ، كم أود أن أعود طفلا من جديد .

الساعة العاشرة ..

العاشرة والنصف .. والعقارب تجهز على نصفها الآخر!

الحادية عشرة .. ولا أحرف سوى التأمل والحزن .

أكرهك يا قارئي البليد ، أيها الجلاد الذي لا يشبع . يا من تمتص دمي قطرة قطرة .. من أجل شهرة زائفة ، وقطعتين من النقد ، وحبتين من الزيتون .

ما ذا تريد أن أقدم اليك ؟

أترضيك طفولتي التعسة ؟ أو أخي الذي مات ! وتشردي في مدينة الضياع ؟

أم تريد أعمق ؟ أعمق من كل ما ذكرت .. ليالي الارق ، ويصرخ بي انسان من الداخل : انك مأجور .. مأجور ومأجور !

وتود أن تسقط دمعة على عيني ، ولكنني أحجرها لتهبط دماء الى الاعماق !

أكتب .. أكتب يا أيها الانسان الداخلي اللعين .

أود أن أعيش في بلد غريب . وأنا جائع ومحروم ، وأحب قدحاً من الخمر .. ويسري في دمائي السم .

.... .. !!

ولا .. كلمة ! البياض يحملق ببلاهة . تحرك يا أيها الانسان .. هذا دورك يادماغي النتن ! ..

أتوسل اليك يا أحرفي البكماء

.... .. !!

ضجيج القطار يخترق أذني .. والمسافرون يلوحون بأيديهم بلا هدف . يلوحون لاشخاص خياليين .

يا أيها المسافرون التعساء ! أذقتم مرارة الحرمان والحزن؟ انني أشتاق للعودة .. لامي الحزينة ، يا أمي الحزينة .. يا ذات العينين الشاحبتين .

.... .. !!

وحبي الذي مات ! أم تريد أن ألطخ نفسي لتقرأ سعيداً ما كتبت ؟

أتريدني أن أبدو مهرجاً أمام عينيك ؟ أنا مستعد لتبتسم أنا مستعد لتبتسم أيها الجلاد . ولكنني لا أستطيع ، فروحي مليئة بالشوك والحزن ، وثغري لا يعرف الابتسام .

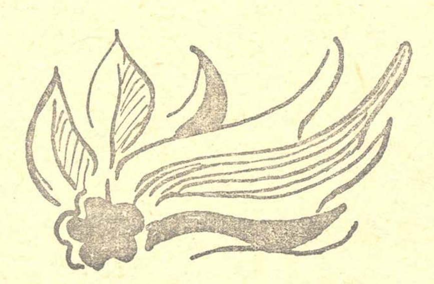
الثانية عشرة ..

ويلعب حوالي الاطفال . تعال .. تعال يا أيها الطفل لأقبل قدميك !

سوف يحضر صاحب المجلة ، ويسألني المقال بعينين ملهوفتين !

لا مجال للانتظار .. فضجيج المطبعة يصم الآذان ، وأحرفها الرصاصية تبتلع كل شيء .

لا فائدة يا دماغي النتن ! .. لقد خنتني في أظلم الاوقات ...



اطمئن يا جسدي الجائع : قطعة من الخبز ، وشيئاً من الدسم ، وقليلا من السم !

الواحدة ...

وصوت السيارة يطرق أذني .. صاحب المجلة يقبل بعينين ضاحكتين ...

لا شيء يا أيها المترف ؟ !

لا شيء سوى التشرد ، والالم ، والضياع ، والدموع ..

الياس فرحات

بقلم :

الدكتور جودة الركابي

قصة شاعري هي قصة العبقرية التي وجدت في الحرف منطلقاً لما يجيش في نفسها من أحاسيس وما يعتلج في حناياها من عواطف الحب وانفعالات القلق .. قصة بدأت في « كفر شيما » القرية اللبنانية الجميلة ، المطلة على البحر ، العابقة بأشذاء الصنوبر ، التي أنجبت للأدب العربي آل اليازجي اللغويين ، وآل شميل المفكرين، وآل تقلا الصحفيين ، وأنجبت الياس فرحات .

في هذه القرية اللبنانية الوادعة « كفر شيما » ولد شاعرنا الياس فرحات عام ١٨٩٣ ليحمل منها الى ربوع أمريكا الجنوبية أصفى نبرات الشعر العربي المتدفق عاطفة وجرأة ووطنية . في هذه القرية كان شاعرنا نبتة غضة تهزها رياح القلق في عصر مني بالظلم والفقر والحرمان ، وكان فيها زجالا لا يعرف من لغته الا القراءة البسيطة ولكنه كان يختزن في أعماق نفسه ينابيع شاعرية فجرتها الايام فيما بعد فتدفقت نهراً عذباً خالداً .

ولم يطل بشاعرنا المقام في بلدته الاولى « كفر شيما » التي بعثت فيه ، كما بعثت في أكثر أبنائها ، هبة الشعر وخفقة الحب وجمال البيان . وفي عام ١٩١٠ يغادرها مهاجراً الى البرازيل ملتمساً الرزق طالباً العيش . فتطرحه النوى مطارح الشقاء وتتقاذفه أيدي النوائب ويلاقي من العنت ما يلاقي ، ولكنه يصارع الحياة بإباء وشمم ، وتسيطر نفسه المرهفة الشاعرة عليه فلا تحبسها الويلات ولا تخمد من جذوة الهامها المصائب .

وقد استطاع الشاعر أن يقدم لنا صورة مؤثرة عن قصة كفاحه المر في قصيدته « حياة مشقات » التي صور بها كيف كان يستقطر ماء الرزق من صخرة الحياة القاسية ، فيجوب الفيافي والمروج ماشياً أو راكباً في عجلة أجاد في تصويرها وهي تسير على الصخور الصلد وترقص فوق نواتيء الحصا ، تهبط تارة وتعلو طوراً :

ومركبة للنقل راحت يجرهـا
حصانان : محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء ، شدها
غرابيل أدعى للوقار وأنسب
جلست الى حوذيها وورائنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع نبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده
وأغواره أمواجه ، وهي مركب
تبين وتخفي في الربى وحيالها
فيحسبها الرائون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر
فنحسب أن الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى
فنوشك من تلك الخلاعة نقلب !
نبيت بأكواخ خلت من أناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب !
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخطط بريشة
تظن صباغاً لونها ، وهو طحلب !

يغني لنا فيها الهواء كأنه
يتومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي أجفاننا الشوق للكرى
ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ومأكلنا مما نصيد ، وطالما
طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل مانحن نشرب
حياة مشقات ... ولكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبي وتعذب

والحق أن هذا الوصف جديد في أدبنا العربي ، وهو ثمرة من ثمار الادب المهجري الذي لم يكن ليطرق هذه الموضوعات لولا البيئة الجديدة التي ترعرع فيها والتي مدته بالاساليب الجديدة . وهذه القصيدة لا تكتفي بأن ترسم لنا طرفاً من حياة الشاعر القاسية ولكنها تدلنا على قوة تصويره الواقعي بطريق نلمس فيه روح ابن الرومي الساخرة مع نظر الى الاسلوب الواقعي الذي أجاده أدباء الغرب .

ومن خلال كفاحه المرير مع الحياة تظهر أخلاقه جلية على اختلاف نزعاتها :

فهو أبي يكره مكر التجار وخداعهم ، وهو عاطفي يهزه الحب ويألم لجراحات الناس ومتاعبهم وتدهشه تناقضات المجتمع ، وهو محب لوطنه لا ينساه بل يحن اليه دائماً ويذكره كلما حلت به مصيبة أو ألمت به نازلة .

نعم ، لقد آلمه جو المادة الذي كان يحيط به ، وآلمه ، وهو الشاعر المرهف ، أن يرى نفسه بين تجار يتصارعون على المآرب ويتطاحنون على المكاسب فقال يصف حاله :

تسائلني عن حالتي وهي حالة
تروح بتيار وتغدو بتيار
وكيف ترجى أن أكون موفقاً
وما أنا الا شاعر بين تجار !

وفي قصيدته « **نجمة الليل** »يناجي الشاعر هذه النجمة ويسألها هل تجد في عالمها مثل ما هو واجد في عالمه من ظلم واحتكار وتطاحن في سبيل المآرب وعبودية المال ؟ ثم يخلص من ذلك الى قوله : **أنه يبغي حياة لا شرور فيها ولا آثام ، انه ينشد حياة لا يعيش فيها الغدر :**

أحن الى الغاب حيث الشرور
هنالك نيرانها خامدة
أحن حيث لا يجلس الغدر
قرب الوفاء الى مائدة

وحري بمن ينشد هذه الحياة النقية أن يكون صريحاً صادقاً ، **وهكذا فقد كانت الصراحة من أبرز صفات شاعرنا** ، وكان لا يحتمل المداهنة والنفاق ، وقد لاقى في سبيل جراته هذه عنتاً كبيراً ، بل لعل صفة الشاعر المتأصلة في نفسه هي التي أبعدت عنه ، في فاتحة الامر النجاح المادي الذي لم ينله الا قليلا في أخريات حياته . وأين من طبع التاجر من تتصف نفسه بهذه الصفات فيقول :

واني لمطبوع على الصدق جاهر
بآياته والنصل في النطع يقطر
أقول لذي العينين انك مبصر
وللأعور المغرور انك أعور

بمثل هذا الصدق وبمثل هذه النفس الابية لاقى فرحات الحياة وكافحها ، وانساب من خلال أشعاره ذلك اللون الحزين الذي رسم حياته الشقية وقلبه المعذب :

ولي في حنايا الضلوع فؤاد
لغير المصائب لم يخفق
تعودها وهو طفل صغير
فان بعدت صار في مأزق
تثير الليالي عليه الحروب
فيغشى الحروب ولا يتقي
لقد أرضعتني صروف الزمان
لبان الشقاء ولم تشفق

الا أن الشاعر استطاع في أخريات حياته أن تحالفه الايام وأن ينال بعض السعة في العيش فيقر قراره في بيت ابتناه في البرازيل ويعيش مع أسرته وأولاده قرير

العين ، ولكنه كان دائماً في تلفت دائم الى الوطن وشوق خالد الى الحبيب البعيد .

***

ان حبه لوطنه استقر في شغاف قلبه ، ولقد كانت صورة وطنه تتمثل دائماً أمام عينيه وجراحه تدمي قلبه ، فكان يذكره متفجعاً متألماً ، ونحن نلمح من خلال أبياته ظمأه الى رؤيته وحبه الثابت في أعماق سويدائه :

لبيك يا وطني العزيز وان أكن
صباً غرامي آخذ بزمامي
تفديك من نوب الزمان جوانحي
وجوارحي وصبابتي وغرامي
هذي عظامي من ثراك تصورت
ولذا تحن الى ثراك عظامي
ودمي مياه من سماك تقطرت
ولذا أبيت الى مياهك ظامي
والروح روح من هواك تكونت
ولذا دموعي في هواك هوامي

وقد بقيت هذه النبتة الصغيرة التي جاءت من لبنان عربية صافية لم يستطع هواء الغربة أن يغير من لونها شيئاً ، **وبدا شاعرنا متمسكاً بعروبته داعياً الى الوحدة العربية حتى أوغرت هذه النزعة القومية صدور الانعزاليين عليه** فأتهموه بالمروق من لبنانيته ، ولكنه لم يذعن فرماهم بسهام لسانه فكان عربياً قبل كل شيء لا لبنانياً يعيش في جوار العرب . فلنسمعه وهو يخاطب لبنان داعياً أن يكون في خدمة العروبة التي منها يستمد أصله وفي أعماقها تمتد جذوره :

لبنان ان ترض العروبة كان لي
في القول فيك من النجوم قواف
يا شيخ مالك والثلوج كثيفة
حرز سوى هذا الفراش الدافي !
القلب أنت وما شغافك غيرها
أرأى امرؤ قلباً بغير شغاف
ما أنت الا هم فهم لك معدن
هذي الرياض أصولهن فياف
والتمر في أعلى النخيل مناطه
وحياته بالجذر والالياف

هذه النفحة العربية لم تقتصر على المعاني التي طرقها والدعوة التي دافع عنها ، بل كان الكثير من قصائده يتسم بطابع الشعر العربي الاصيل وجزالة الفاظه ، فكان الى جانب تجديده في الاساليب والقوالب لا يضن بالشعر الجزل الذي نلمح فيه رنة البداوة وفخامة الشعر الجاهلي كما في قصيدته التي عارض بها الشاعر فوزي المعلوف حينما انكر في قصيدة له كل فضل للقديم وزعم أن المهاجرين لا شأن لهم في سياسة بلادهم المنكوبة فجاء فرحات يرد عليه في قصيدة قوية ذات نسج عربي صاف فيقول :

حي البداوة نوقها وخيامها
والجاهلية رمحها وحسامها
حيتك أشباح القديم وسلمت
فمن العدالة أن ترد سلامها
هذي بلادك مسرح لحوادث
جهلت نبوات الكتاب ختامها
ان تلو هامتها فقد غسلت بما
سفكته من مهج العدى أقدامها
تأبى عليك مروءة عربية
أن لا تشارك في الشعور كرامها
لو كان للامم الابية دولة
وضعت على صدر الشآم وسامها
أرض توحدها العروبة فليصل
لبنانها حورانها وشآمها
ما خطط الدين التخوم لأمة
الا وقد نخر الفساد عظامها

هذه الروح العربية لم تفارق قلبه ، فبقيت في نفسه نوراً للامل الذي ما زال يعمل في سبيل تحقيقه **وهو أن يرى وطنه دولة واحدة لا يفرق بينها عنصر أو دين أو شعوبية .**

***

هذا الشاعر الوطني كانت تضطرم في نفسه عاطفة

جياشة صادقة فجاء شعره منسجماً سائغاً **لم تفسده أغراض الزلفى والاسترضاء والمديح ، ولم تكبله الصنعة بقيودها** بل جاء سمحاً بسيطاً يجري مع الطبع والخاطر .

ولقد كان **فرحات** قبل كل شيء **شاعراً غنائياً** ، أجاد في كل غرض يمت الى العاطفة والحب بصلة ، **ولذا كنت ترى لحن المأساة يصبغ أشعاره بلون حزين ينم عما في قلبه من حب دفين . ان هذا الحب لم ينسه ، لقد غناه في « خصلة الشعر »** التي زودته بها فتاة أحلامه يوم غادر القرية وأبى الدهر أن يجمع بينهما ، فتزوجت من سواه كما تزوج من سواها . **وغناه أيضاً في كل وجه جميل ، وكان نشيداً عذرياً لم ينحدر الى المتع الجسدية واللذة الحسية المبتذلة .**

نعم ، لقد كان في شعر **فرحات** سخط جارف مدمر ، وكان في أخلاقه صلابة وعناد وتمرد ، وكان صدره يقدح شواظاً من نار . **ولكنه مع هذا عرف كيف يرسل النغمة الهادئة والخفقة الوالهة والدمعة الحرى ، فرثى** أصدقاءه بأصدق الاشعار ، وصور حنينه وحبه بأعذب الالحان ، **وأحب الطبيعة وامتزج بها** حتى انك لتعجب من ذلك الشاعر الجبار ، الذي تراه حيناً مزمجراً ساخطاً وحيناً آخر واعظاً حكيماً ، كيف يرق حتى تكاد قصائده تحاكي خفة النسيم وتنهدات العشاق في أسلوب ساذج جذاب كما في قوله :

يسائلني الصحب عن رسمها
وما رسمها صورة تبتذل
وان المصور مهما أجاد
تظل الاجادة دون الاقل
فكم صوروا المقل الساحرات
وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين
فهل صوروا طعم تلك القبل ؟

على أن الشاعر كان يحترم الزوجية التي عرفها منذ عام ١٩٢١ ولكنه عرف أيضاً طعم اللمى والرضاب كما يقول جورج صيدح . وقد أشار الشاعر الى ذلك الطعم بحسرة التائب بعد فوات الشباب :

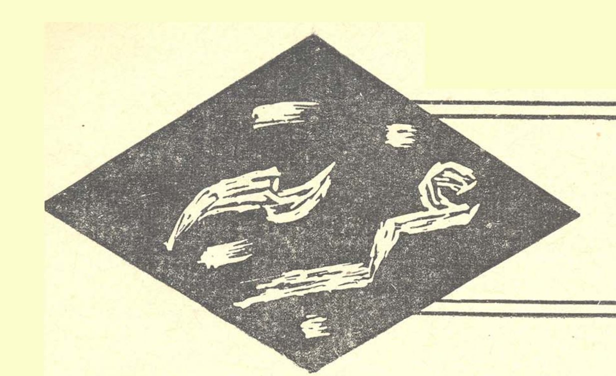
فر عصفور شبابي من يدي
فعصافير الهوى تبكي عليا
لم أمت بعد ، ولكن ليس من
أصبحت تنفر منه الغيد حيا

وهكذا فقد أحب الشاعر الحياة على شقائها ، وأحب منها وجهها الجميل ، ومجده في جمال المرأة وانسياب الجدول وبسمة الزهر ورنة الوتر واخضرار الربيع :

أحب الربيع وأيامه
وأهوى لياليه الضاحكات
واعشق أجمل ما في الربيع
ورود الربى وخدود البنات
وأعجب كيف يعيش امرؤ
خلياً وزهر الدجى عاشقات
فان الربيع شباب الزمان
وان الشباب ربيع الحياة
وان الحياة على خبثها
لتحوي كثيراً من الطيبات !

ولا أجد في الختام كلمة تجمع صفات شاعرنا وتصوره أصدق تصوير خيراً مما كتبه عنه **جورج صيدح** فقال : « **هو الشاعر المهجري مئة في المئة .** وان لم يكن أعرق زملائه في الشاعرية فهو أعرقهم في الروح المهجرية . ما تأدب ولا كتب حرفاً الا تحت سماء البرازيل . أدبه عصري الطابع . **تحرر في الفكر ، وتجديد في الأداء ، وصدق في العاطفة .** ان نظم فتلبية لسليقة أصيلة في نفسه وعاطفة جياشة في صدره تدفعه الى القول الحق الصراح . وان تألمت روحه لمأساة من مآسي الوطن تدفق شعوره أمواجاً عارمة تجرف الظالمين والخانعين على السواء وتتكسر على صخور المستعمرين الاقوياء .... **وهو الذي لم يأكل خبزه الا بعرق جبينه ولم يعفر جبينه بتراب الزلفى والمداهنة . استغنى بالقناعة عن الاغنياء فساواهم حرية ، واختص دونهم بالعبقرية فتعالى عنهم واستطاع ما لايستطيعون .** »

جودت الركابي



مُناقشات

مفهوم الرواية وعملية خلق الأبطال

عند فرانسوا مورياك

بقلم :
جورج سالم

مقدمة

يدور حول مختلف الآثار الفنية عدد كبير من الاسئلة تتعلق بطبيعتها وشكلها ومضمونها والمشاكل التي تثيرها والنماذج التي تقدمها .

أما الطريقة التي تم فيها تصور الاثر ومراحل تكوينه ومصادره القريبة والبعيدة وعملية النضج البطيء التي مر بها فالحديث عنه يبدو أشد تعقيدا وأكثر صعوبة . ولعل للأضواء التي يسلطها مبدع الأثر نفسه أعظم الاهمية فى فهم أدبه خاصة وفى فهم عملية الابداع الفني بشكل عام .

ولقد قام الاديب الفرنسي الكبير فرنسوا مورياك بدراسة من هذا القبيل عنوانها « الروائي وابطاله » عرض فيها كثيرا من آرائه فى معنى الرواية وعملية خلق الابطال كما يفهمها هو وكما حاول أن يحققها فى معظم رواياته وقصصه وسأحاول هنا ان اجمل الخطوط الاولى التى تقوم عليها هذه الدراسة العميقة .

الرواية اقتران الروائي بعالم الواقع .

يبدأ مورياك بتقرير هذه الحقيقة ، وهي ان الروائي خالق ينافس الرب فى عملية الخلق ، ولكن شتان ما بينهما ! لأن الخلق معناه ايجاد الشيء من العدم ، والروائي لا يوجد شيئا من العدم قط ، وانما يستمد العناصر التي تكون أبطاله من عالم الواقع أي من رؤية الناس أو من عملية استبطانه لنفسه . فأبطال الرواية اذن يولدون من اقتران الروائي بعالم الواقع ، ولهذا فمن العسير أن نميز بين ما أبدعه الكاتب من نفسه وبين ما استمده من العالم الخارجي

ويستبعد مورياك من دراسته هذه نوعين اثنين من الروائيين : أحدهما الروائي الذي لا يصور الا نفسه متستراً خلف قناع بطل ما ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للروائي في الفترة الاولى من حياته وثانيهما الروائي الذي ينقل الينا صور الناس كما يراها بصدق وأمانة ودقة وهذا النوع من النقل نراه عند الكتاب الاخلاقيين – كلابروير مثلا – لان هؤلاء الروائيين لا يخلقون وانما يعيدون الى الناس – على حد تعبير لابروير نفسه – ما أخذوه من الناس ، ومن السهل بعد ذلك أن يرى كل امرىء صورته الشخصية التي رسمها له الكاتب .

ان الرواية التي يعنيها مورياك هي الرواية التي يقدم فيها مؤلفها ، شخصيات جديدة نتجت عن هذا الاتحاد العجيب بين الفنان والواقع . ولا يستطيع ان يحقق هذا الا الروائي الحق ، الروائي الذي لا ينقل أبطاله عن نماذج صادفها في الحياة . بل يقدم لنا نماذج جديدة ، يستطيع أن يفخر بأنه هو الذي أخرجها من العدم بمقدرته الخلاقة ، ولئن كان هناك أناس ، قريبون منه أو بعيدون عنه ، يعتقدون أنهم يرون صورهم الشخصية فيما كتب الروائي ، فان هذا لم يفكر فيهم أبداً حين كتب ما كتب . ولكننا حين نقول ان الناس وجدوا شبهاً بينهم وبين النماذج التي خلقها الروائي ، الا يعني هذا ان الكاتب استمد لحمة أبطاله مما رسبته الحياة في نفسه من صور وذكريات ؟

اثر الروائي

ذلك بأن الفنان ، ابان طفولته ، يجمع في ذاكرته الاشكال والصور والاحاديث ، فقد تستهويه صورة ما ، أو حادثة أو حديث ، وتبقى هذه العناصر كلها في نفسه ، ولو لم يشعر بها ، على خلاف الناس العاديين الذين تضيع مثل هذه العناصر من نفوسهم أو تتلاشى . وهكذا تحيا هذه

العناصر ، على غير علم الروائي ، وتبرز ذات يوم اذ يحين وقتهـــا .

لقد كان ثمة فتى صغير يتجسس ، غير شاعر بجريرته، يلملم ويسجل ، ويحفظ صور الحياة في تعقدها المظلم ، وهو يعيش في هذه الاماكن المظلمة حيث تمر طفولتـه ، بين هذه الأسر المنطويـة على نفسها ، في تلـك المناطق الضائعة ، في زوايا الارياف التي لا يمر بها انسان ، حيث يظن الناس أن أحداث الحياة لاتقترب منها . انه فتى يشابه غيره من الفتيان ، فلا يثير في النفوس أي شك حتى أن ذويه ليصرخون في وجهه قائلين :

ــ هيا العب مع رفاقك ، ماذا تراك تصنع ههنا قابعاً بين ثيابنا . .

بيد انه يرهف السمع دائماً ليلتقط ما يرويه الكبار .

فاذا تسلم غداة نشره لرواياته رسائل من القراء يخبرونه فيها أنهم تعرفوا صورهم الشخصية فيما كتب فانه يشعر بشيء من الخجل والدهشة والحزن . . ذلك بأنه يعرف أبطاله حق المعرفـة ، ويعلم أنهم لا يشبهون أولئك القراء

أثر الواقـع .

ويشرح موریاك طريقته في تصور الرواية فيقول :

لا أستطيع أن أتخيل رواية ما دون أن يكون المنزل الذى ستجرى فيه الحوادث حاضراً فى ذهنى ، يجب أن أعرف المنطقـة المجاورة له أيضاً معرفـة عميقـة لا سطحية . وهكذا فما من مأسـاة تستطيع أن تحيا في ذهني ان أنا لم أضعها فى الامكنـة التى عشت فيهـا ردحاً طويلا مـن الزمن . ينبغي أن أتابع تنقلات أبطالي من غرفة الى غرفة ، وقـد يحدث أن يكـون وجههم غير واضح بالنسبة الي ، وقد لا أميز جيداً خيالاتهم ، ولـكنني أستنشق رائحـة الردهات التى يجتازونها ، وأعرف كل ما يستنشقون وما يتناهى الى أسماعهم في أية ساعة من ساعات النهار أو الليـل .

هذه الضرورة قادتني الى رتابة مكانية سيطرت على رواياتى جميعـاً . انهـا تلزمني أن أستعين بكـل المنازل والحدائق التي عرفتها أو عشت بين أرجائها منذ طفولتي، ولكن أمـلاك أهلي واقاربي قـد لا تفي بالغرض ، فأراني مضطراً لأن أغزو منازل الجيران ، وكثيراً ما رأيتني أدير رحى أقسى الفواجع في عقر منزل من تلك المنازل الريفية التي طالما أكرمني أصحابها وقدموا لي ما لذ وطاب مـن المأكل والمشرب .

الى هذه المنـازل يحمل الروائي مخلوقـات تختلف عن الناس الذين سكنوها . ولنـا أن نتساءل بعـد ذلك ، ما العلاقة بين سكان تلـك الديار الذين عرفهم الكاتب وبـين المخلوقات التي جاء بها ؟

أما بالنسبة لموریاك ، فالامـر يسير جـداً ، فهو يأخـذ الاشخاص الثانويين في رواياتـه من المجتمع مباشرة ، اذ ان وقتـه لا يتسع لأن يعيد خلق هؤلاء الاشخاص ، فلا يجد بداً من أن يأخذهم كما هم . أما الابطال الآخرون ، أبطال الروايـة الاساسيون ، الابطال البائسون في الغالب في أدب موریاك ، فالى أي حد يعكسون لنا كائنات حية ؟

الحياة تقدم نقطة الانطلاق .

لا تؤلف العناصر التي تقدمها الحياة للكاتب الا الخطوط الاولى ، أو نقطة الانطلاق في مأسـاة كان يمكن أن تحدث أو مشكلة ضعيفة كـان يمكن أن تتطور تطـوراً كبيراً في ظروف أخرى . ونقصد بذلـك أن الحياة تقـدم للكاتب نقطة انطلاق تتيح لـه ان ينطلق في طريق تخالف الطريق التى سلكتها الحياة ، فيعكس الادوار فهو يبحث مثلا في مأسـاة عرفها عن القـاتل في شخص الضحيـة ، وعن الضحية في شخص القاتل .

ولنأخذ على سبيل المثال رواية (تريز ديكيرو) فمـن بين المصادر الكثيرة التي استقى منها موریاك موضوعـه هذا ، كما يقول ، هناك المشهد الذى رآه وهو فى الثامنـة عشرة من عمره ، كان مشهد امرأة ضعيفة سقت زوجهـا السم . لقد ذكر وهو يكتب الرواية موقف الشهود وبعض الملاحظات ، ولكن اعتماده على الواقع يقف عند هذا الحد ، ذلك لانه بنى شخصية جديدة أكثر تعقيداً وأشد اختلافاً . كانت الدوافع التى حدت بالمرأة الى ارتكاب جريمتها تلك ، دوافع يسيرة للغايـة . فقد سقت زوجها السم لانهـا كانت تحب سواه . وليس ثمة من رابط عميق يربط هذه ببطلة روايـة (تيريز) التي أقدمت على مثل ذلك العمل ، وهى نفسها تجهل السبب الذى دفعهـا الى ارتكابـه . ولكن هل يعنى ذلك أن ما من علاقـة بين تيريز ديكيرو تلك النفس المضطربة الجموح التي تجهل بواعث تصرفاتها، وبين المخلوقات التي عرفها الكاتب ؟ بلى ، ان الجو الذي يعيش فيه الكاتب والاحاديث التي يسمع والكتب التـي يقرأ والمسارح التي يرتاد . كل ذلك يتيح لمعظم النـاس أن يتعمقوا ذواتهم . وهكذا فقـد وضع الكـاتب بطلتـه في اتجاه ما دون ان يفكر بأيـة امرأة ، وذلك بفضل جميع الملاحظات التي ترسبت في نفسـه خلال حياته .

وقـل الامر نفسـه بالنسبة لروايـة (عقـدة الافاعي) فان الخطوط العريضة الخارجية في شخصيته ، ترتبط بحادثـة معينة ، ولكن هذه الشخصية تختلف اختلافـاً عميقـاً عن الشخص الذي عانى هذه التجربة . لقد اعتمد

الكاتب على بعض المناسبات والعادات أو على مزاج خاص، وجد فعلا ، ولكنه ركز كل ذلك حول نفس أخرى .

رأينا أن الرواية تتولد من هذا التزاوج العجيب بين الفنان وعالم الواقع . فهو يغذي تلك الملاحظات وتلك الوجوه من نفسه أو من قسم من نفسه على الاقل . فأي قسم نعني ؟

البطل وعلاقته بالروائي .

لقد مرت على مورياك فترة من الزمن كان يعتقد فيها أن الكاتب يحمل كتاباته كل ما يعتمل في نفسه من رغبات وآمال وموجدة وان شخصياته تتحمل كل الآثام التي لم يرتكبها أو انها تتمثل كل البطولات أو المثاليات التي كان على الكاتب أن يقوم بها ولكنه عجز عن ذلك .

ولكن مورياك يرى أن هذا التفسير لا يقيم وزناً للمقدرة الكبرى التي يتمتع بها الروائي على تبديل الوقائع وتضخيمها ، وهذه المقدرة هي أساس هام من أسس الفن الروائي . فان ما يشعر به الابطال لا يماثل ما يشعر به المؤلف . فقد يحدث أن يرى الكاتب في صميم قلبه نقطة انطلاق صغيرة قد يتفتح عليها بطل في رواية ، ولكن على نحو مختلف حتى ليبدو في الحق أن ما من علاقة بين ما شعر به الكاتب وبين ما يجري في نفس بطله . فالكاتب يعزل عاطفة ما من النفس ويستخرجها من بقية العواطف المتضاربة . فلهذا فان الابطال لا يمثلون الكاتب ولكنهم ينمون عنه . لان الكاتب اذ يجمل الموضوع فانه يبسطه. وان مما يغري الكاتب كثيراً أن يخلق كائناً نموذجياً . ولكن الحياة بعيدة عن هذا الكائن النموذج . ان هدف الروائي أن يرسم الحياة في تعقدها وهذه هي صبوته البعيدة ، ومن هنا كانت مأساة الروائيين الحديثين الذين أدركوا أن رسم الطباع على طريقة الروايات الكلاسيكية لا علاقة له بالحياة . بل ان كبار الروائيين كتلستوي ودوستويفسكي وبروست لا يعدو ما كتبوه أن يكون اقتراباً من الحياة الانسانية ذلك النسيج الحي الذي تتعارض فيه آلاف الخطوط ، ولكن دون أن يستطيعوا بلوغه آخر الامر . وان الكاتب الذي يدرك هذا يكون أمام اتجاهين فاما أن ينصرف الى كتابة بعض الحكايات اليسيرة واما أن يجري في تيار جويس أو فرجينا ولف فيضطر الى ايجاد طريقة جديدة كطريقة المونولوج مثلا لكي يجهد في أن يصور أو يعبر عن ضمير انساني واحد ، ذلك العالم الواسع المتغير دائماً الذي لا يستقر على حال .

ولكن هناك ما هو أبعد مدى : فليس هناك انسان يعيش وحده . اننا جميعاً مرتبطون بأعماقنا بالكتلة البشرية . ان الكائن كما يدرسه الروائي ، ليس الا تصوراً ، وهو لا يرسم الكائنات منفصلا بعضها عن بعض ، الا توخياً للسهولة والبساطة كما يفعل العالم في مختبره حيث يحلل المواد كلا على حدة .

هل يمكن نقل الحياة في تداخلها وتعقدها ؟

اذا أراد الروائي أن يبلغ قمة فنه ، أي أن يصور الحياة ، فان عليه أن يجهد في نقل هذه السمفونية الانسانية التي نرتبط بها جميعاً ، حيث تمتد وتتداخل جميع الحيوات بعضها في بعض . ولكن كل من أراد أن يسلك هذا السبيل انتهى به المطاف الى الفشل ، مع الاسف ، مهما يكن حظه من العبقرية . وان في محاولة كاتب كجويس لشيئاً من اليأس . ولن يتاح لأي فنان أن يتغلب على هذا التناقض الذي يرتبط بفن الرواية ارتباطاً وثيقاً . فالرواية تزعم أنها تدرس الانسان ، ثم لاتلبث أن تعزل هذا العالم الكثيف وتثبته تحت عدسة هوى واحد ، فضيلة كان أم رذيلة : الاب جوريو أو الحب الابوي بت بنت الخالة أو الغيرة ، الاب جرانديه أوالبخل. هذا من جهة ، ثم تزعم من جهة ثانية الى تصور الحياة الاجتماعية . ولكنها لا تصور في الحقيقة الا الافراد بعد أن تقطع معظم الجذور التي تربطهم بالجماعة . وبكلمة موجزة ان الروائي يجمد ويعزل في الكائن الواحد عاطفة واحدة ، كما يجمد ويعزل من الجماعة كائناً واحداً. ونستطيع أن نصف من يصور الحياة على هذا النحو أنه يعبر عما هو مخالف للحياة : ففن الروائي هو افلاس اذن.

وقل الامر نفسه بالنسبة لكبار الروائيين الذين يزعمون أنهم يصورون مجتمعاً كاملا ، ولنأخذ منهم بلزاك مثلا . لقد صور هذا الروائي نماذج متعددة من جميع طبقات المجتمع الفرنسي في مطلع القرن التاسع عشر . ولكن تلك النماذج ظلت مستقلة بعضها عن بعض . فلم يكن يربطها الا خيط دقيق في عقدة الرواية ، أو رباط العاطفة التى بسطت تبسيطاً بائساً . الا ان مرسيل بروست يظل ، دون شك ، الروائي الذي استطاع أن يتغلب على هذا التناقض المرتبط بفن الرواية ، لانه استطاع أن يرسم الاشخاص دون أن يجمدهم ودون أن يقسمهم .

ان الذين يجعلون من الرواية اعظم الفنون لعلى صواب لان موضوع الرواية هو الانسان ، ولكننا لا نستطيع أن نخطىء الذين يزدرون الرواية أيضاً ، لان الرواية تنقض غايتها حين تقسم النفس الانسانية وتزور الحياة .

حرية الابطال .

ومع ذلك كله فمما لا شك أن الابطال الذين أوجدهم

الكاتب لا يتمتعون جميعاً بنصيب واحد من الحياة ، بل يتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً . وسبب ذلك ، في رأي مورياك ، أن هؤلاء الابطال ، ونعني بهم الابطال الذين يكون نصيبهم من الحياة كبيراً ، لم تحدد دوائرهم تحديداً قاسياً ، ففيهم جانب سحري ، وجانب غير ثابت ، وفيهم امكانيات كثيرة قابلة للتفتح ، في حين يفتقر الابطال الآخرون الى هذه المزايا كلها .

ومهما يكن حظ الروائي من الفشل فان له أسباباً تبرر وجوده ، ذلك بأن مخلوقاته تؤثر على الناس . فاذا كانت هذه المخلوقات قد فشلت في أن تمثل الناس وتنقل اليهم صورتهم ، فان لها تأثيراً عليهم على كل حال . فهي تقلق راحتهم وتثيرهم ، وليس هذا بالامر اليسير . واذا كان الروائي يشعر أحياناً بالخيبة فمرد ذلك الى سعة المجال الذي يدعي انه يعمل فيه وتقصد به تصور الحياة الانسانية .

يخلق الروائي أبطاله ويدفع بهم الى العالم وهو يحملهم نوعاً من المهام . ولكن هناك أبطالا يعظون القراء ويتفانون في خدمة قضية أو يصبحون دعاة الى بعض الشرائع الاجتماعية أو الافكار الانسانية ، ويقومون بتمثيل ذلك كله . الا ان الكاتب يجب أن يكون حذرا جداً في هذه الناحية ، لان أبطال الروائي ليسوا خدماً له . فقد تكون نفوسهم شريرة ، وقد يرفضون مشاركته في آرائه ، يقول موريـاك : أعرف أبطالا يسلكون سبيلا مخالفاً لآرائي كلها ، بل ان من البوادر السيئة أن يغدو أحد أبطالنا هيكلا ينطق بلساننا ، وحين يذعن البطل لمتطلباتنا ، فان ذلك يعني غالباً أنه كائن مجرد من الحياة ، وان ليس أمامنا الا جثة هامدة .

ويتحدث موريـاك عن تجربته الذاتية في الموضوع فيقول : لقد حدث لي غير مرة أنني اكتشفت وأنا أكتب رواية ما أن بطلا أساسياً من أبطالها فكرت فيه طويلا وحددت تطوره في التفاصيل الاولى من الرواية لم ينسجم انسجاماً تاماً مع المخطط لانه مات : فهو يذعن لي ولكن كما تذعن الجثث . وعلى العكس من ذلك فان بطلا ثانوياً آخر لم أعلق عليه أية أهمية تراه قد اندفع من تلقاء نفسه الى الصف الاول ، وشغل مكاناً لم أدعه اليه وقادني في مسالك لم أكن أتوقعها . مثال ذلك شخصية الطبيب كوريج في رواية (صحراء الحب) . فهذا الطبيب لم يكن ، وفق مخططي ، الا شخصاً ثانوياً فهو والد البطل الرئيسي ، ثم انتهى به الامر الى أن يجتاح كل الرواية ، وحين أفكر في هذا الكتاب فان وجه هذا الطبيب المتألم يهيمن في ذهني على جميع الوجوه .

الابطال الاشرار .

كلما كان نصيب أبطال الرواية من الحياة أكبر قل خضوعهم للروائي . هناك بعض الروائيين الذين قضى عليهم سوء حظهم بأن يستوحوا أعمالهم من أقل الجوانب نبلا في نفوسهم . فأبطالهم يتجسدون في الجانب المظلم منهم ، واذا ما سألهم سائل « من أين استخرجتم كل هذا القبح » فانهم يضطرون الى الاجابة : « من نفوسنا » . وان من الخطأ أن يظن أحدنا ان هذه المخلوقات تمثل وجه الكاتب ، لانها انما جبلت من عناصر يمجها الكاتب ولا يرتضيها لنفسه ، فهي تمثل نفايات نفسه اذن . ولكن الكاتب الذي يخلق مثل هؤلاء الابطال يشعر بلذة عجيبة في أن يناضل ضدهم ، وقد يضطرهم الى أن يكتشفوا ذواتهم ، ويستطيع أن ينقذهم دون أن يحطمهم . وهذا ما فعله موريـاك في روايته « عقدة الافاعي » . فهذه الرواية في ظاهرها مأساة أسرة ، ولكنها في أعماقها قصة ارتقاء نفس بعد سقوطها . فقد جهد الكاتب في أن يجول خلال مصير انساني غارق في الوحل ليصل الى الينبوع الصافي فيه ، ولقد أنهى موريـاك روايتين حين أتيح له أن يعيد الى بطله ، ابن الظلمات ، حقه في النور والمحبة ، وبكلمة واحدة أن يعيد بطله الى الله .

طالما ظن النقاد ، أن موريـاك يحمل نوعاً من العداء نحو أبطاله ولا البؤساء منهم . بل ان حبه ليزداد كلما ازدادت تعاسة البطل فكأنه الام التي تتجه محبتها بشكل غريزي ، نحو أضعف أبنائها . ان بطل « عقدة الافاعي » والقاتلة تيريز ديكيرو ، لا يتمتعان ، رغم مظهرهما المفزع بالرضى عن نفسهما أو الارتياح لها . وفي هذا يكمن اعجاب موريـاك بهما ومحبته لهما . لان هاتين الصفتين يندر وجودهما بين الناس أنفسهم .

تكرار البطل في آثار الروائي .

قد يأتي على الكاتب حين يكتشف فيه أن بطلا واحداً يتردد ظهوره في كل رواية من رواياته . وقد تكون هذه الفترة أشد الفترات خطورة في حياته الادبية . ولكن موريـاك لا يرى في هذه الظاهرة خطراً كبيراً على الكاتب. لا شك أن مما يميز كبار الروائيين هو كثرة المخلوقات التي أوجدوها . ولكننا نرى مع ذلك أن عدد الابطال الذين خلقهم كبار الروائيين كبلزاك وتولستوي ودوستويفسكي وديكنز لأقل من عدد الرواياتالتي ألفوا. ذلك بأننا نستطيع أن نتابع من رواية الى أخرى ، النموذج الانساني نفسه الذي أوجده الكاتب . ولنأخذ (الأبله) لدوستويفسكي مثالا علىذلك . ان المرء ليستطيع أن يرى أخاه أو شبيهه في كل رواية من روايات

دوستويفسكي . وقل الامر نفسه وعلى نحو أصغر في بطل عقدة الافاعي الذي يذكر القاريء ببطل رواية (والدة) في كثير من تفاصيل شخصيته .

فهل يعني ذلك أن الكاتب يعيد نفسه ؟ لا يرى مورياك ذلك . فقد يتحدث الكاتب عن البطل نفسه ولكنه يضعه في ظروف حياتية مختلفة . ففي رواية (والدة) جعل الكاتب بطله يواجه أماً جموحاً . وفي (عقدة الافاعي) تخيله زوجاً وأباً لأسرة وجداً ورئيس عشيرة ، وعوضاً عن أن نلوم الكاتب على تكراره لشخص ما ، أو ندفعه الى أن يجدد نفسه مستعيناً بوسائل مصطنعة فان علينا أن نعجب بقدرته على خلق كائنات تستطيع أن تنتقل من مصير الى مصير ومن رواية الى أخرى ، كما تستطيع أن تبدأ حياتها من جديد في ظروف جديدة على خلاف الكائنات الحية .

وعلى هذا فحين كان الناس يدعون موريك الى أن يجدد أبطاله فانه كان يقول في نفسه : ان الامر الهام أن يتجدد الكاتب من حيث التعمق ، فهو يستطيع ، دون أن يغير طريقته ، أن يتوغل في تحليله الى أبعد مما كان يفعل من قبل . فاذا كان الناس يأخذون عليه أن بطل روايته (عقدة الافاعي) يشبه الى حد بعيد بطل روايته (والدة) فانه مع ذلك استطاع أن يخطو خطوات واسعة في معرفة هذا الانسان وأن ينحدر في الرواية الثانية الى مواطن أعمق من نفسه .

هل هناك أدب شعبي ؟

يقول موريك رداً على أنصار الادب الشعبي الذين أخذوا عليه أنه لم يتحدث أبداً عن الشعب . لماذا يقسر الكاتب نفسه أن يتحدث عن محيط لا يعرفه معرفة عميقة ؟! والواقع أن ليس ثمة كبير أهمية في أن يضع الكاتب على مسرحه دوقة أو امرأة بورجوازية أو بائعة متجولة لأن المهم أن يرقى الكاتب الى التعبير عن الحقيقة الانسانية . وان العبرة الانسانية التي يجب أن يجلوها الكاتب لتزدهر في حياة مترفة ازدهارها في حياة معوزة بائسة . فكل كاتب يحفر في البيئة التي ولد أو عاش فيها . ليس هناك روائيون مترفون أو روائيون شعبيون ، بل هناك روائيون ناجحون ، وآخرون فاشلون .

الرواية والمرض .

تستقر دائماً خلف أكثر الروايات موضوعية ، مأساة عاشها الكاتب . هي مأساة صراعه الفردي مع شياطينه . وقد يكون مرد نجاح عبقريته الى أنه لم ينقل مأساته الشخصية الى روايته . وان كلمة فلوبير : ان مدام بوفاري هي أنا . لذات معنى كبير . فهذه الكلمة تتطلب منا كثيراً من التفكير ، لان نظرة عجلى نلقيها على مثل هذه الرواية لا تظهر لنا أن بينها وبين حياة الكاتب ارتباطاً ما . ذلك بأن رواية مدام بوفاري أثر فني خالد — ونقصد بذلك أنها تكون كلا متماسكاً ، وتقف كأنها عالم منفصل عمن أبدعها . فكلما كان الأثر ناقصاً ، كشفت ثنايا الكتاب عن نفس مؤلفه المسكين .

ان حياة الروائيين ، اذا كانوا حقاً عظماء ، تنتهي الى نوع من الصراع العنيف يدور بينهم وبين آثارهم . وعلى قدر مايكون الاثر عظيماً فان سيطرته عليهم تزداد وتعنف، وقد يفرض عليهم أحياناً بعض المتطلبات ، وان ما يفيد الاثر الفني يقتل الروائي غالبا . فبعض الروائيين كفلوبير يحملهم اثرهم على أن يسجنوا أنفسهم في سجن دائم خارج الحياة . وغيرهم كبروست ، يعهدون اليه بآخر أنفاسهم ويستمرون في تغذيته من وجودهم حتى آخر نسمة من حياتهم .

أما اذا تولد الاثر الفني من كائن مريض ، كما هي الحال عند فلوبير أو بروست ، فسيحمل هذا الاثر قسماً مرتبطا بالمرض ، يفضي به الى نهايته المحتومة . كان بسكال يقول : ان المرض هو حالة المسيحي الطبيعية واننا نستطيع أن نقول ذلك عن الروائي . كان صراع فلوبير وربو بروست يحجبانهما عن العالم ويسجنانهما بين طاولة وفراش . وبينما كان الاول يبحث عن مخرج له في كتاب ، كان بروست يعلم أن له وهو مسجون بين جدران غرفته ذكريات كانما جمعت خلال آلاف السنين ، فهو يستطيع أن يستخرج من نفسه عصوراً وأجواء اجتماعية وفصولا وأريافاً وطرقاً وكل ماعرف وأحب واستنشق وتألم من أجله ، كل ذلك كان يتوافد عليه وهو في غرفته التي لم يكد يخرج منها أبداً .

ولكن المرض لا يفرض على الروائي طريقته في العمل وحسب . ان صرع دوستويفسكي ليسم كل أبطاله بشارة تجعلنا نتعرفهم بسهولة ، وان مرضه هو الذي طبع الانسانية التي خلقها بمزاجه الغريب ، ففي الآثار الفنيه يتجلى كل اعوجاج أو انحراف في الكاتب ، اذا كان عبقرياً، وتفيد الآثار من ذلك لتجري في اتجاه لم يتجه فيه أحد من قبل . ان قانون الوراثة الذي تسير عليه الاسرة الانسانية يلعب دورا أيضاً في العلاقة بين الكاتب وآثاره. ولكن قد يحدث ، في المجال الروائي أن معايب الخالق قد تغني المخلوقات التي يبدع .

ومن جهة أخرى ، فحين يكون الروائي سليم الجسم قوي البنية ، كما كان بلزاك مثلا ، فان الآثار لا تني تهدمه، وان العالم الذي أقامه بلزاك لم يلبث أن سقط فوقه وسحقه . واذا لم تستطع الآثار أن تقتل خالقها فهي

تجعل منه على الاقل كائناً دونها فتفرض عليه متطلبات ورغبات لا تتلاءم والحياة . ان تولستوي مثلا تزوج حين كان رجلا كغيره من الرجال وأنشأ أسرة ولكنه كلما كان يتوغل في طريق العبقرية وتبدأ فلسفته بالتجسد كانت حياته العائلية تقترب شيئاً فشيئاً من ذلك الجحيم الرهيب .

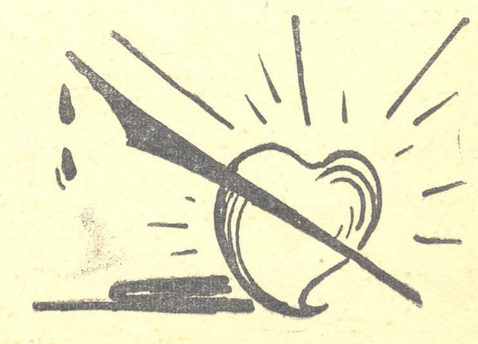
غاية الرواية .

لا يفكر الناس غالباً ان الرواية اذ تعانق الحقيقة ، قدر استطاعتها ، فهي تكذب في الوقت نفسه ، وآية ذلك أن أبطالها يشرحون أفكارهم ويروونها . مع اننا نلحظ أن الكلام نادر حتى في أكثر الحيوات اضطراباً ، وان مأساة الكائن الحي تتتابع وتتفكك عقدتها في الصمت ، وان ماهو صميمي في الحياة لا يرقى اليه التعبير أبداً .

ففي الحياة الواقعية يتحدث تريستان وايزولت عن الطقس وعن المرأة التي شاهداها في الصباح . واذا أردنا أن نكتب رواية مماثلة للحياة فستكون هذه الرواية مملوءة بالنقاط . ذلك بأن عالم أبطال الرواية يقوم في كوكب آخر ، في كوكب تشرح فيه المخلوقات ذواتها ، وتفضي باعترافاتها ، وتحلل نفسها وتسعى وراء المشاكل بدلا من أن تتجنبها ، ومع ذلك فنحن نستطيع ، بفضل ذلك كله ، أن نفيد من الابطال لنتعمق في معرفة ذواتنا ونعي أنفسنا . يجب ألا يصبح أبطال الرواية مشابهين للحياة بل على العكس يجب أن يصبح الاحياء رويداً رويداً مماثلين للعبر التي تستخرج من روايات الكتاب العظام . ان لابطال الروايات معنى دائماً ، وان مصيرهم ليحمل أمثولة ، وانهم ليرسمون لنا أخلاقاً لا يمكن أن توجد في مصير حقيقي يحيط به التناقض والاضطراب كل حين .

ان أبطال كبار الروائيين ، حتى حين لا يفكر هؤلاء في اظهار شيء أو اثبات فكرة ما ، ليحملون حقيقة قد لايقف الناس أمامها وقفة مشابهة ، ولكن على كل انسان أن يكتشفها وأن يطبقها على نفسه . وهذا ما يبرر وجود الكاتب كما يبرر خلقه لعالم مثالي يرى الاحياء ، قلوبهم ، بفضله ، رؤية أوضح ، ويستطيع الواحد منهم أن يحمل نحو أخيه مزيداً من التفهم والشفقة .

جورج سالم



هجاء فرحات وعلاقته بشعره القومي

بقلم : مي حرب

لا أراني مبالغاً اذا قلت أن فرحات علم بين شعراء العرب الحديثين المهاجرين منهم والمقيمين : وهو في قفزته الرائعة تلك من شعر الضيعة القرادي والزجل وما شابه ذلك من الشعر العامي ، الى الشعر الراقي الفصيح نسيج وحده ، ولعمري ان ذلك الينبوع الدفاق السلسبيل بل ذلك التيار الجارف من الشاعرية الثرة لحري بالتقدير والاعجاب وما كانت مشقات الحياة ومتاعب الغربة ومناواة الفقر لتقف سداً حائلا أمام توثبه وانهماره زلالا صافياً وسمي الخطى حيث نزل أنبت العشب والزهر والرياحين وكسى الارواح والخمائل من ربيعه الدائم النظرة والخضرة، وانه لمدهش حقاً أن نرى ذلك النسر المحلق ، يدوم في سماء الشعر والفن واالخيال ، وقد اتفقت على هيض جناحه بغاث الطير ، وعواصف الرجعية والتبعية والفرقة ، فما نالت منه منالا ، ولا استطاعت مجاراته في المضمار وهو السبوق ، وما أروعه بلبلا صداحاً ، تهتز لصداحه أوتار القلوب ، وما أجمله صداحاً علوياً سحرياً وما أوقعه في النفس ، منطلقاً رغم نعيب البوم والغربان وخفافيش الظلام التي التفت من حوله تضيق انفاسه ، وتخفت صوته ، وتيبس روضه ، فلا ظلال ولا خضرة ولا زهر، وهو مع ذلك منطلق في تغريده وشدوه ، لأولئك الذين مضوا في متاهات الدروب ومجاهل الصحاري يقاسون حمارة القيظ وصبارة القر كادحين من أجل الرزق عاملين من أجل الوطن شاعرين بآمال الناس وآلامهم وعلى الاخص بني وطنهم ، الى أولئك غنى فرحات فكان لهم كواحة الصحراء المرمضة وكبدر الليلة المدلهمة الحالكة .

وفرحات عصري بأسلوبه وتفكيره ولعله كذلك في جل معانيه ، ولكنه عربي القالب ، فصيح الكلمات ، لايتوعر فيها ولا يتكلف ، ونادراً ما يغوص وراء المعاني البعيدة الا ما أتاه منها عفو الخاطر ، وبين فرحات وبين الشعر المنثور والشعر الرمزي عداء مستحكم ، ولذلك اتسم شعره كله بالطابع العربي المعروف من تفاعيل وأوزان وقواف ، بتجديد ومرونة ان لم تنقض القديم وتشوهه فهي تواكب الجديد وتماشيه .

ووطن فرحات قطعة من الارض تمتد من المحيط العربي الى الخليج الفارسي تشملها اللغة العربية ، ولا يفرقها لهجة ولا دين ولا حدود ولا سياسة ، بل تجمعها اللغة والتاريخ والآلام والآمال ... وهو لهذا الوطن الواحد يدعو في شعره ونثره ، ولذلك نراه حرباً على من يراهم واقفين عثرة في سبيل دعوته تلك ، من ملوك ورجال دين واقطاعيين وشعوبيين وأذناب ...

قيل بأن فنون الشعر أربعة : غزل ، وهجاء ومديح ، ورثاء . وقد طرقها فرحات جميعاً بما فيها الحكمة والفخر والعتاب والخمر . ولعلي أضيق على نفسي كثيراً اذ اختار هجاء فرحات مجالا لمقالي وباب الوطنية في شعر فرحات والقومية عريض مفتوح على مصراعيه رحب الطريق وسيعه وقد احتل معظم شعره .

قرأت فرحات كثيراً في رباعياته وربيعه ، وصيفه وخريفه ، وفي « أحلام الراعي » وسمعته عدة مرات أتيح لي فيها أن أحظى بمجلسه ، وفي كل مرة كنت ازداد اعجاباً بوطنيته الصادقة وعروبته الحقة . ولكن كم قلت بيني وبين نفسي لا أوقعني الله بلسانه فانه كالنحلة تماماً ان رضي منحك صافي الجلاب طيب الشهد وان غضب لسعك فصرعك .

وهجاء فرحات ينقسم الى ثلاثة أقسام :

شخصي : وهو ما تناول فرداً واحداً معيناً وفرحات في هجائه للافراد يقصد من ذلك اتيان الحكمة واصلاح المجتمع وعلى الاخص في رباعياته وهو مر في ذلك مرارة ابن الرومي ولكنه يختلف عن ابن الرومي بشيء واحد فقد كان ابن الرومي يتناول عيوب المهجو الخلقية والخلقية مشهراً بها أما فرحات فنادراً ما يهتم بعيوب مهجوه الخلقية بل يتقصى عيوبه في أخلاقه ومبادئه ويعرضها أمامك بأسلوب في الهجاء فذ لا تتمالك معه الا أن تتقزز وتنفر من المهجو المنكود الحظ فتارة يصوره بشكل أفعى خبيثة :

أخفت ثمانين غرشاً في حقيبتها
كي تتهم الخادم المسكين بالمال
وتدعي بعد هذا أنها بشر
وان حوباءها من مصدر عال
يا حية الانس روح الشر عاطلة
فكيف أدخلتها في جسمك الحالي
لا بارك الله في هذا الجمال ولا
في والديك ولا في العم والخال

وطوراً بشكل زيز حقير مستنسر :

رويدك أيها المختال كبراً
فهذا اليسر قد يتلوه عسر

وان الحاسرين لديك ذلا
جميع حياتهم ذل وحسر
صغار أكبروك وليس بدعاً
فإن الزيز بين النمل نسر

وانه ليقيم مهجوه عن معرفة أكيدة بقدره :

عرفت الناس أرقاماً وقدماً
عرفتك عن يسار الرقم صفراً
فمالك تدعي علماً وفهماً
وتقلق راحتي شتماً وشكراً
فتمدحني وما أسديت عرفاً
وتشتمني وما أبديت نكرا
كأنك بين خلق الله كلب
يبصبص تارة ويعض أخرى

وانك لتراه بعين الشاعر عدا عن كونه قدماً نكرة ، جباناً رعديداً :

جبنت لدن رأيت السوط يهوي
عليك فانت نبر لا جريء
فان تبلع هراءك ليس بدعاً
فان الكلب يبلع ما يقيء

وأنت لا بد أن تأنف من لؤم هذا المهجو الجديد ونكرانه للجميل وجحوده فضل الشاعر عليه ، فهو أخف وقعاً من سعير سقر :

رمى الله الرجيم بحر نار
ولم يرم الرجيم كما رماني
رماني بابن فاعلة خبيث
له في كل مفسدة يدان
رفعت الضيم يوم الضيم عنه
فقابلني بنهشة أفعوان
ولو باع اللئيم لكي يفيني
سرابيل الحليلة ما كفاني

وبالله عليك هل رأيت أو سمعت بلؤم صور أو بخبث سطر عن رجل قلب لئيم أروع مما صور شاعرنا مهجوه قائلا :

انظر الى هذا اللئيم فسائي
أدرى بـه من أمـه الحرباء
ماشيته يوماً فدست خياله
عرضاً فأثر لؤمه بحذائي
متقلب الاطوار والافكار والا
قوال والافعال والآراء
عبد مع العبدان حر بيننا
كالماء يأخذ لون كل اناء

الهجاء الجماعي : وهو ماتناول جماعة معينة أو فئة معينة من الناس كفئة التجار والمرابين أو رجال الدين الذين يتاجرون ويشعوذون باسم الدين أو أغنياء المجتمع الذين بشمت بطونهم واكتظت صناديقهم بقدر ما هزلت نفوسهم وضمرت ضمائرهم فلا يحاولون الا نفع نفوسهم وارواء جشعهم وان كان ذلك على حساب العامل والفقير ...

وشعر فرحات في هذا الباب مبضع جراح خبير يقع على موطن الداء فيزيله ويشفي قروح المجتمع وجروحه ليبتر ما فسد من الاعضاء أو ليطهر ويلئم ما أنتن من جروح خوفاً من تسمم الجسم والقضاء عليه .

ورجال الدين من هذا الهجاء نصيب وافر المسيحيين منهم والمسلمين :

كتاب مسيحكم سهل صريح
فما هذي الزوائد والحواشي
وما هذي الطقوس اذاً اذا لم
تكن حيلا لتحصيل المعاش

وانه ليضيق بتلك الطقوس ويسخر من اتباعها أمر السخرية :

هذي كنائسكم تكاد
تضيق بالكون الفسيح
غصت بأتباع الطقوس
فأين أتباع المسيح

ولعل الفقر بنظر شاعرنا نعمة يحسد صاحبها :

هنيئاً للفقير فلا لصوص
تحوم على حماه ولا قسوس

كذلك نجد فرحات في هجائه التعصب والمتعصبين عامة ناري الشعر ثوري الطبع يهاجم التعصب بلا هوادة ولا وناء ، والشعر الامثل في نظره هو ما :

يثير على التعصب نار حرب
يطير على اللحى منها شرار
ترى المتعصبين اذا تراءى
لهم في الحلم أرقهم فثاروا
قذفن به قلانسهم فطارت
ولو خفت مآثمهم لطاروا

وهنالك فئة في المجتمع من مرضى النفوس والاخلاق لا يدعها فرحات تمر دون أن يسمها بميسمه المتوهج ، أولئك هم عبدة المال الباذلين في سبيله ماء الوجه وعزة النفس :

قوم يبيعون للشارين عزتهم
والعرض والدين والدنيا بدينار
لا يفرقون اذا أثروا أكللهم
تاج من الغار أم تاج من العار

أما الملوك وكم عانينا وما نزال من مفاسدهم وشرورهم فينذرهم الشاعر الحر بقوله ...

لكم البداءة والختام لنا

ويدعوك انت أيها العربي الأبي الى تحقيرهم بل الى تهديمهم :

واذا لقيت ذوي الجلالة من
ساداتنا المتحكمين بنا
وذوي السمو وكل ذي لقب
خاو كصاحبه قليل غنى
فاهزأ بألقاب بهم سمنت
وكرامة هزلت أسى وضنى
ديست بأقدام اليهود فيا
شم النفوس استنشقوا الدرنا

وقد يشمل هذا القسم من الهجاء في شعر فرحات شعباً كاملا أو أمة بأسرها ، ففي قصيدته « حكمة أفعى » تحليل دقيق وعرض رائع يفضح سياسة أمريكا الاستعمارية وتجنيها على الشعوب الضعيفة على لسان أفعى تخاطب أمريكا بقولها :

أنا لا أنصر لصاً ان من
ينصر اللص من اللص أحط
أنا لا أحمي جناة خانة
قذف الموج بهم من كل شط
أنا لا أستعبد المحتاج في
« نقطة » فيها من السم نقط
أنت فيك السم لا حصر له
وأنا السم بنابي فقط

وفي قصيدته « كذابون » يحذرك من تصديق الانكليزي فهو كاذب وان تظاهر بالبراءة ذئب وان بدا كالحمل شيطان ولو تقمص صورة الملاك وفي الهند ومصروفلسطين أمثلة من خبث بريطانيا فهي :

أشعب في رجالها
ناسك في أشاعب
تنهب الارض والسما
وهي في زي راهب
كل ما في بلادها
من بلاد الاجانب

ولم ينس الشاعر فضل فرنسا :

فان لها فضلا علينا ومنة
وبيض أياد لا تكاد تصدق
أمنا لصوص الشرق والغرب بعدها
فما تركت شيئاً بلبنان يسرق

أما اليهود شذاذ الآفاق وحثالة الانسانية فيندر أن تخلو قصيدة للشاعر قيلت بعد النكبة الفلسطينية ولم تذكر بها حطتهم وشرورهم ...

الهجاء الانساني : أو الهجاء العام وهو ما هجى الشاعر فيه الناس كافة دون استثناء ، فهم في نظره ذئاب تنهش بعضها بعضاً وهم غيلان وان لم تظهر دماء ضحاياهم على أنيابهم ، والناس في نظره انطبعوا على اللؤم فغدا الكريم بينهم غريباً ، وانعدمت بينهم فضيلة الوفاء ليحل محلها الغلظة والجفاء :

فان الناس ليس لهم وفاء
وقد جمعوا الكثير من الجفاء
هم الغيلان في هزل وجد
وفي ضيق المعيشة والرخاء

ويدهشه أن يرى بين الناس اديباً صافي الود والقلب وهم بين كلب وذيب :

يا من يعيش بقلبه ولسانه
وكلاهما صافي الوداد أديب
من أين جئت الى الثرى وبنو الثرى
كلب يبصبص للعظام وذيب
ذم الانام وأنت غير مذمم
ان الكريم عن الانام غريب

وانه ليحتقر الناس فيعدهم أقذاراً :

والناس أقذار تجمعها
الاقدار تحت أظافر الدهر

وكذلك فهو يحذرهم ولا يأمن جانبهم ويدعوك الى ذلك :

هم الناس فاحذرهم ولا تجعلن لهم
عليك وان عزوا لديك نفوذا
فكم من شقيق قلب قابيل قلبه
وكم من صديق فيه روح يهوذا

وهكذا نرى انه لم يبق أمام شاعرنا الكريم الا أن يردد مع أبي الطيب :

أذم الى هذا الزمان أهيله ...

وما أظنه تعداه في كل ما ورد له في هذا الباب من الشعر وقد تتبع خطاه وترسم طريقة فعله في ترسم طريق ابن الرومي في باب الهجاء الشخصي ، وان يكن المجال لا يتسع للمقارنة فلا مندوحة من ذكر هذا التشابه وقد ظهر بصورة جلية كما ترى .

أما بعد أن عرضت في هذه العجالة الهجاء في شعر فرحات لايسعني الا الاعتراف بنقص البحث لضيق المجال، وانما هي صورة حاولت أن أنقل اليك أبرز ما فيها اذ لم أستطع نقلها بتفاصيلها ولا بد لي قبل انهاء هذا البحث الموجز من ذكر العلاقة بين هجاء فرحات وشعره القومي .

هنالك ميزة ظاهرة في شعر فرحات عامة هي أن الصبغة القومية تطغي على جل شعره مثله في ذلك مثل الشاعر القروي ، وفرحات ان تغزل أو رثا أو هجا أو وصف فهو لا بد عائد بك الى ذكر الوطن فان رق النسيم ذكره بنسيم لبنان العليل ، وان اخضر المرج جنح به الخيال الى خضرة لبنان وجمال الغوطة .. وان بدت أمامه احدى الحسناوات عادت به الذكرى الى حبه الاول ومراتع فتوته في الوطن حيث جاد الله عليها

البطل الصغير

قصة من بلدتي

بقلم :
اسماعيل عدرة

الى النجم الآفل : جمال الدين النجار ، في ذكرى أفوله ، الأولى ...

*

لا أمل .. الجراح خطيرة ، في غاية الخطورة ، والنزيف داخلي وعنيف .. قال الطبيب !

واكفهرت المرئيات في عيني الأب ، وهو يشهد ولده « نذير » مسجي على سرير الاحتضار ، ممتقع اللون ، مرتعش الصدر ، يئن بحرقة ، ويتأوه بألم ، يجمجم كلمات مبهمات ، تموجت في : الثورة .. الثأر ....

وعصفت المشاهد في ذهن الاب :

– أرجوك يا دكتور .. حياة ولدي كل شيء في حياتي .. الفداء .. الدماء .. كلها من أجل ولدي ..

وهز الطبيب رأسه :

– اني مقدر فيك عاطفة الاب المفجوع ، ولكن الواقع حتمية مطلقة .. لقد أجريت العملية الجراحية في الحال ، غير أن الامل في نجاحها ، يضمحل .. ان عظام الصدر مهشمة ، والرئتين مصابتان ، والدماء تحوم حول قلبه الصغير ، فأخذت تعيقه عن الحركة ، وتترسب في الشرايين ! ..

وترنح الاب .. ثم تماسك .. تجلد .. ليس له من اراد بانتزاع الواقع أو تبديله .. انه حتمية مطلقة ... هكذا قال الطبيب .. فلا بد اذن من الصبر ، والصبر مجهود يزعزع الجبال . وأجال بصره في أنحاء الحجرة ، فلم تلمح عيناه سوى أشباح الموت ، تنثال طائشة عاتية ، وتعود فتعلو ثم تهبط ، في حركة مجنونة ، فوق الجسد الصغير ، المسجى ، تنتزع الروح الذي لم يقدر له أن يمتع بالحياة .. فنذير شاب يافع في ربيعه السادس عشر ، ذكي القلب ، متوقد الحس .. يحس آلام وطنه ، ويدرك أن الطغاة قوم مجحدون ، لم يرعووا في أن يسلبوا الوطن الوليد ، كل ما يعج به من حياة ، أو يرفل به من عزة .. ونذير ازاء هذه الشحنات المسمومة ثائر أبداً ، يستبسل في التظاهرات ، ويلقى بصدره الصغير سهام الغدر ، وتبح حنجرته :

– أرض العرب .. للعرب

– وطن عربي واحد . شعب عربي واحد ..

– كلنا فداء الجزائر وفلسطين ...

وقد أحبه رفاقه ، وقدروا في روحه الصغير الواثب ، هذا الوعي الكبير ، الذي كان لهم منطلق التعبير الحي ، والصوت المدوي القائد ! .. ولقد حزت في نفسه هاتيك المآسي المحزنة ، المتجسدة في القلق والفاقة والحرمان والجهالة والمرض ، تغزو بلده الصغير ، فتعيق نهضته ووثبته ، وآلمه أكثر النكبة الخرساء التي افترست الحقول ، فجف الزرع ، ونضب الماء ، وماتت الاحلام ، وسدت على بلدته كوى السماء ، فنزح الانسان والحيوان والنبات !! ..

وعلى أهلها بفيض من الجمال والفتنة والعذوبة ...

ولما كان الشعر القومي هو ما نزع الى بعث الهمم وايقاظ الضمائر وبعث العزيمة في النفوس للنهوض بالامة الى المستوى الامثل ، نافضة عنها غبار الذل والاستعباد ، جاطمة أدواءها الاجتماعية من جهل ومرض وتنفذ واقطاع ... ساعية الى الارتقاء في مختلف ميادين الحضارة والبناء ، وكان فرجات في جل شعره الهجائي ينزع الى هذه المثل في سبيل بعث أمته العربية من جديد ، وجدنا صعوبة جمة في التفريق بين شعره القومي وشعره الهجائي فكلاهما متمم للآخر وكلاهما يهدف الى غاية وطنية كريمة .

ختام

واذا كان الشعر مركبة يجرها جوادان هما العاطفة والخيال ويسوسها العقل فلا بد لي من القول بأن فرحات وقد أوتي عاطفة مشبوبة ، وخيالا خصباً جموحاً ، وعقلا ذكياً طماحاً ، فقد طار بتلك المركبة الى أجواء علوية سماوية لا يثبت فيها الا الفحول من الشعراء فجاد علينا من عليائه بتلك الدرر الشعرية في الوطنية الصافية والوصف الرائع والغزل المبدع ...

حفظ الله لنا شاعرنا الكبير وأكثر من أمثاله .

جامعة دمشق – كلية الطب
أمين حرب

كان يدرك هذا تماماً ، ويتحسسه بوجدان نام ، وود لو أن يداً رحيمة تمتد فتجتث الارهاق والحرمان ، وتنشر الرخاء والرفاه ٠٠ وابتسم ! .. ابتسم أكثر من مرة ، لان اليد التي تمناها بدأت تمتد ، والفاقة والظمأ أخذا يتقلصان .. انها يد الروح الثوري النابع من عبد النـاصر !

وعاد نذير الى منزله ، ظهيرة يوم ، من حزيران القائظ ، التهبت شمسه ، وتوهج جوه ، ولفحت ريحه الوجوه فأراقت عرقها ، والهبت بشرتها ، وكان حلقه قد جف .. فهرع شطر اناء الماء ، ولكنه سرعان ما ارتد عنه .. لقد خلا الاناء من الماء !

ـ أختاه .. ماجدة .. اني عطش !!

واستعير الماء ، وشرب نذير ! ..

فكر نذير .. أما لهذه المآسي من نهاية ؟! انظل نبتاع الماء ، والماء عزيز ، أو نتطفل على بعض الجيران نسألهم كأساً من الماء ، والماء لديهم متوفر حيناً ، مفقود احياناً ؟! ..

والقى نظرة على بئر المنزل الناضبة : هذه البئر انها جافة ٠٠ صحيح .. ولكن علام وجودها في فناء الدار ؟

وسأل أباه :

ـ لنحفر هذه البئر ، علنا نمتاح منها ما يكفينا عوزنا من الماء ..

وأومأ الاب :

ـ سأبعث بعامل ، يحفر البئر ويمتاح الماء ، ان كان ثمة في جوف الارض ماء ، لتعيش واخوتك في ارواء تام .. هه .. أسررت ؟ ..

ـ لم لا .. شكراً لك ..

وجاء العامل ، وشرع يحفر البئر ويسبر قاعها ، غير أن الماء استعصى ، والجهود تذهب هدراً ٠٠ ولكن لا بد من النهل أخيراً !

لم لا أساعد هذا العامل ؟ .. فأنا ليس لدي عمل .. ومعاونة العامل في حفر البئر ، تخفيف للاجرة ، وعون لوالدي ، واسراع في اسالة المياه ..

وألح عليه وجدانه ، وأصر على اشباع رغبة العمل والتعاون .. ولكن هل سيعلم والده في ما انتوى ؟ .. ان والده سيرفض ذلك لا محالة ، لان « نذير » أثير على أبيه ، محبب لديه ، يتوخى له الراحة ، وينشد الطمأنينة .

تردد في تفكيره .. واعتقد أن اشباع هذه الرغبة لاتعتبر خروجاً على ارادة أبيه أو عقوقاً به ...

ودنا من البئر !! ..

كان الوقت ظهراً ، والعامل يلهو بكسرات خبز يلوكها ، حين نضا نذير ثيابه الخارجية ، وأخذ يتدلى في البئر .

البئر عميقة .. ستة عشر متراً عمقها .. خانقة دبقة ، ضيقة ، بعيدة القاع .. يتوسطها أنبوب مضخة ، يخترقها من فوهتها حتى قاعها ٠ واستعان نذير بالانبوب ، يتدلى عليه بانزلاق ، فتعثرت قدمه ، وهوى دفعة واحدة الى قعر البئر ، يرتطم بالجوانب ، ويصطدم بالانبوب ، حتى لامس القاع ، تصدى له طرف الانبوب ليفتك به ، ويمزق صدره ، ويدعه بين الموت والحياة !! ..

*

كان الاب ما يزال يمسح بمنديله عينيه ، يكفكف دموعه ، ويهدهد آلامه ، ويجأر بدعاء مكبوت ، وابتهالات مخنوقة ، وهو يرمق بأسى قاتل البطل الصغير ، تستل منه الحياة .. وتململ الجسد المسجى :

ـ ثورة .. ثأر ٠٠ ثو .. ر .. ة ..

وحف به نفر من رفاقه .. فحدجهم بنظرة منطفئة ، وصدره يرتعش بلا توان ، وأنينه ما يبرح يستذرف الدموع ويجترح النفوس ..

ـ لبنان .. ليتني مت في لبنان .. في الجزا .. ئر .

وهصرت هذه المشاعر الثائرة أفئدة رفاقه وأبيه ، فبكوا ونحبوا ...

وفاضت الروح !

اخترقت جنازة الشهيد الصغير شوارع البلدة ، والناس فيها صم ، مذهولون .. وارتسم الشحوب على الوجوه ، وهلعت النفوس .. ووسد الجثمان المطهر رمس الابدية ، ودفن معه أمل كبير من آمال جيل !

فيا أيها العابرون هذا الضريح .. قفوا عنده وابكوا العنفوان العربي الشاب ، والروح العلي ، والنفس الجريحة !

اسماعيل عدره

موكب العلم والحضارة

بدأ عصر الفضاء منذ الرابع من تشرين الاول عام ١٩٥٧ عندما أطلق قمر صناعي في العالم، وسيدخل هذا اليوم في سجل التاريخ باعتباره نقطة انطلاق الى غزو الفضاء، وتتابعت التجارب والاقمار فتم التوصل في نطاق السنة الجيوفيزيائية الدولية الى السرعة الكونية الاولى وهي ٨ كيلو مترات في الثانية، ولم يقف التقدم عند هذا الحد بل تعداه في الثاني من كانون الثاني عام ١٩٥٩ الى اطلاق صاروخ كوني من قبل الاتحاد السوفياتي الى القمر، وهو صاروخ متعدد المراحل بلغ السرعة الكونية الثانية وهي ٢ر١١ كيلو متراً في الثانية، وبذلك انتصر العلم على حاجز من أهم حواجز الطبيعة الا وهو حاجز الجاذبية الارضية، وقد مر هذا الصاروخ بالمراحل التالية :

١ ـ في الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة من صباح الثالث من كانون الثاني سيمر الصاروخ متابعاً طريقه فوق جزيرة سومطرا وسيكون على بعد ١١٠ كيلو متر من الارض .

٢ ـ في الساعة السادسة من صباح الثالث من كانون الثاني كان الصاروخ على ارتفاع يزيد عن ١٣٧ الف كيلو متر فوق سطح الارض ضمن زاوية قدرها ٤ درجات و ٣٠ دقيقة عرضاً جنوبياً و ٣٦ درجة و ٣٠ دقيقة طولا شرقياً .

٣ ـ في الساعة الواحدة بعد ظهر الثالث من كانون الثاني بلغ الصاروخ الكوني ذو السرعة الفائقة في انطلاقه الى القمر مسافة تبعد عن الارض ٢٠٠ الف كيلو متر وفي تلك اللحظة كان الصاروخ فوق أميركا الجنوبية ضمن زاوية ٤٠ درجة طولا غربا جنوبا . وقد بلغت حرارة سطح الصاروخ ١٥ ـ ٢٠ درجة سنتيغراد .

٤ ـ حددت الحسابات أن الصاروخ الكوني سيبلغ منطقة القمر يوم ٤ كانون الثاني ١٩٥٩ حوالي الساعة السابعة .

٥ ـ تخطى الصاروخ الكوني بفضل سرعته الهائلة القمر واتجه نحو الشمس ليصبح الكوكب العاشر في المجموعة الشمسية .

٦ ـ اتخذ الصاروخ الكوني مداره في يومي ٧ ـ ٨ كانون الثاني ١٩٥٩ واتخذ مكانه بين الارض والمريخ . ومن المحتمل أن تكون مدة دورته ١٥ شهراً وهو أول كوكب صناعي .

وقد رصد طيران المرحلة الاخيرة من الصاروخ الكوني باتباع جهاز ارسال اذاعي وضع فيه يعمل على ذبذبتين طول احداهما ١٩٩٩٧ ميغاهرتز والثانية ١٩٩٩٥ ميغاهرتز كما يطلق اشارات برقية مدة احداها ثمانية أعشار الثانية ومدة الاخرى ثانية وستة أعشار الثانية . وجهاز ارسال اذاعي يعمل على ذبذبة طولها ١٩٩٩٣ ميغاهرتز ويطلق اشارات برقية تتراوح مدتها بين خمسة اعشار الثانية وتسعة أعشار الثانية تذاع بواسطتها نتائج الارصاد العلمية، وجهاز ارسال اذاعي يعمل على ذبذبة طولها ٦ر١٨٣ ميغاهرتز ويستخدم لقياس بارامترات الحركة ولاذاعة المعلومات العلمية الى الارض، وأجهزة خاصة لتكوين سحابة صوديوم تكون بمثابة مذنب اصطناعي .

يبلغ وزن المرحلة الاخيرة من الصاروخ الكوني ١٤٧٢ كيلو غراما بدون وقود كما يبلغ الوزن الاجمالي للاجهزة العلمية والقياسية مع مصادر التغذية والصندوق ٣ر٣٦١ كيلو غراما وهو موجود ضمن المرحلة الاخيرة، ويستفاد من هذه الاجهزة في :

١ ـ الكشف عن الحقل المغناطيسي للقمر .

٢ ـ دراسة كثافة وتبدلات الاشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسي الارضي .

٣ ـ تسجيل الفوتونات في الاشعاع الكوني .

٤ ـ الكشف عن فعالية القمر الاشعاعية .

٥ ـ دراسة توزيع النويات الثقيلة في الاشعاع الكوني .

٦ ـ دراسة التركيب الغازي المادة بين الكواكب .

٧ ـ دراسة الاشعاع الجسيمي للشمس ودراسة الجزئيات النيزكية .

لقد انفتح الطريق الى الفضاء الكوني .. والآن يزهو كوكبنا الارضي بأنه أرسل كوكبا صناعيا يرافقه في دورانه حول الشمس ونحن الذين شهدنا عدداً ضخماً من منجزات العلم نشهد مرة أخرى انتصارا جديدا لعبقرية الانسان .

(ز.ك)

عالم الفضاء أيضاً

للسيدة عواطف الحفار اسماعيل



* أقر عدد كبير من أشهر علماء العالم الفرضية الجريئة التي وضعها العالم السوفياتي شكلوفسكي عن المريخ وأكد فيها ان القمرين اللذين يدوران في فلك هذا الكوكب السيار هما قمران صناعيان .

وقد كانت هذه الفرضية في البدء مجرد رأي عابر ، استقبله العلماء في شيء من الطرافة وعدم الاكتراث ، ولكنهم ما لبثوا أن أكدوا صحة هذه الفرضية وهي على جانب كبير من الخطورة لا لانها تزعزع الكثير من معارفنا عن الاجرام السماوية فحسب بل لاثرها البعيد في نظرتنا الى التاريخ البشري على الارض . وأول ما تثيره هذه التساؤلات هو هل توصل البشر قديماً الى مرحلة حضارية راقية تتيح لهم أن يطلقوا أقماراً صناعية قبل آلاف السنين ؟ أم أن في المريخ كائنات أكثر رقياً وحضارة من انسان الارض ، يرجع اليها اطلاق الاقمار ؟.

والمعروف أن حول المريخ قمرين صغيرين هما فوبوس وديموس ويرجع اكتشاف هذين القمرين الى القرن السابع عشر ، ففي عام ١٦١٠ أشار العالم الايطالي غاليله في رسالة وجهها الى الاب كاستيلي بايطاليا ، أن حول المريخ منطقة حمراء لا بد أن تكون ظاهرة سماوية وفي عام ١٦٥٩ رسم العالم الهولندي كريستيان هويغنز مخططاً للاجرام السماوية كما رصدها ووضع اشارة في فضاء المريخ .. ولم يكن العلماء يملكون النظارات الكافية لرصد النجوم ولذلك بقي وجود القمرين مجرد افتراض . وفي عام ١٧٢٦ نشر الكاتب الانكليزي جونتان سويفت كتابه المعروف رحلات غوليفر أشار في بعض صفحاته الى أن فلكيي لابوشا اكتشفوا الكوكبين حول المريخ .

وقد أنكر عليه العلماء اذ ذاك هذا الزعم واعتبروه من ثمرات الخيال ، وسخر منه بصورة خاصة الفيلسوف فولتير ، ولكن فلكياً أمريكياً اسمه اساب هول رصد هذين القمرين في ١١ آب عام ١٨٧٧ وحدد دورتهما بصورة تقريبية ، وفي مطلع القرن العشرين استطاع العالم بيكر ينغ أن يحدد بصورة علمية قطر فوبوس بـ ١٢ كيلو مترا وقطر ديموس بـ ١٠ كيلو متر ولكن العلماء صححوا هذين الرقمين عام ١٩٢٤ فقطر الاول هو ١٥ كم والثاني ٨ ك م . وهما كوكبان صغيران لا يتجاوز اكبرهما أصغر مدينة كبرى في العالم .

ومما يلفت النظر أنهما في فضاء المريخ تماما ولا علاقة لهما اطلاقا بالكواكب السيارة الاخرى ، وأنهما يدوران دورة كاملة لا أهليلجية كما هي الحال بالنسبة للكواكب السيارة .

ولعل هذه الملاحظات الى جانب دراسات علمية أخرى هي التي أتاحت للعالم السوفياتي شكلوفسكي أن يفاجيء العالم بهذه الفرضية .

ففي أول أيار من عام ١٩٥٩ أدلى هذا العالم بحديث الى البرافدا قال فيه .. أنه في عام ١٩٤٥ قام الفلكي الاميركي شاربلر بحساب جديد للقمرين فوبوس وديموس وقارن هذا الحساب بالارقام التي وضعها الفلكي الروسي هرمان سترون فى مطلع هذا القرن ، ولاحظ ان هناك تبدلا غريباً فى دورة هذين الكوكبين .. فقد تقدم فوبوس على مداره درجتين ونصفا وبدا له ذلك أمرا لا سبيل الى تفسيره بل شيئا مستحيلا في حركات الاجرام السماويه ولاحظ فى الوقت نفسه ان فوبوس لا بد من ان يسقط على المريخ بعد ١٥ مليون سنة .

واستنتج شكلوفسكي من ذلك ان فى هذين القمرين خللا لا يفسر الا اذا استطعنا الوصول الى تعليل علمى لاقترابهما من المريخ ويقول :

ان هذا التعليل يمكن ان يرجع الى المد ، ولكن من المعروف ان أثر المد هو أقل بـ ١٠ آلاف مرة من الأثر الذي يخضع له القمران .. وهناك تعليل آخر هو جاذبية المريخ . وقد درست بدقة متناهية هذه الجاذبية ورأيت ان من المستحيل ان تكون هى السبب ولا بد اذن من ان يكون القمران خاضعين لتأثيرات خاصة من فضاء المريخ اي انهما تابعان لدورة اصطناعية .. ولا تفسير لذلك الا بأنهما قد أطلقا من المريخ أو سواه وانهما غير طبيعيين .

وهناك سبب آخر يجعل هذا الافتراض حقيقة هو ان خضوع هذين القمرين لتأثير الفضاء يدل على انهما خفيفان ، وليس من المعقول ان يكون قطر الاول ١٥ كم أو الآخر قطره ٨ كم ، على هذا الجانب من خفة الوزن ، ولذلك فهما حتما كرتان مجوفتان أو مصنوعتان ومرسلتان الى المريخ ...

ولا يعني هذا ان المريخ آهل بالسكان الآن ، ما دام العلم لم يثبت ذلك حتى اليوم . ولكن مما لاريب فيه ان المريخ قد عرف حضارة صناعية راقية ، قامت بالمعجزات في

غابر الازمان وان اصحاب هذه الحضارة هم الذين اطلقوا في سماء المريخ هذين القمرين ..

وقال العالم ليفي المشرف على مرصد باريس والمختص بحركات الاجرام السماوية :

بامكانكم ان تقولوا ما تريدون عن هذين الكوكبين الغامضين ولكن فرضية شكلوفسكي بالنسبة لمعلوماتنا هي على جانب من الخطورة وليس من السهل رفضها ولكننا لا نستطيع ان نتساءل ما دام في المريخ أناس على هذه الدرجة من التقدم الصناعي والرقي فلماذا لا يأتون لزيارتنا على الارض ..

وقال العالم ريغوليه انها نظرية هامة وقد فكرت فيها طويلا ، ولكن ليس من الحكمة البرهان عليها ، ولكي نتأكد منها يجب أن نعرف وزن فيبوس وديموس ونتيقن من خفتهما ، ولا وسيلة لدينا الآن لذلك ..

وقال شاتزمان أعرف جيداً البروفسور شكلوفسكي واحترم قيمه العلمية الكبيرة ولكن من الصعب أن نتأكد من صحتها وأصعب من ذلك أن نقول أنها خاطئة ...

وقال العالم ويليم سينتون ان وجود الحياة على المريخ أمر لا شك فيه ، وكل شيء يدل على أن هذه الحياة متقدمة في جميع مظاهرها على حياة الارض . وما يقوله شكلوفسكي ليس فرضية بل هو حقيقة ، لن يمضي وقت طويل حتى يبدأ الانسان الحديث مرحلة عصر جديد من حياته العلمية .

ريح الصبا مرت على بردى ...

بقلم عدنان ابن ذريل



أقامت وزارة الثقافة والارشاد القومي حفلة تكريم الشاعر العربي الكبير الياس فرحات، بمناسبة زيارته للجمهورية العربية المتحدة، فألقى فيها قصيدتين من شعره، أحداهما نحن في الشام، ومطلعها:

جددي يا نفس أفراح الشباب
واستمدي البشر من هذي الروابي

وهي من شعره القديم، كان نظمها متخيلا انه هبط دمشق، واجتمع الى أهلها، وناجاهم..

والثانية جديدة، نظمها بمناسبة حفلة تكريمه، وهي دالية، ومطلعها:

ريح الصبا مرت على بردى
وأتت ترش على الهجير ندى

وسندرس هذه القصيدة، محللين مضمونها، ناقدين لها...

افتتح الشاعر قصيدته بوصف حسي للنسيم في دمشق، وهبوبه على بردى، وأنه استقبله بالطمأنينة، والبشر، فقال:

ريح الصبا مرت على بردى
وأتت ترش على الهجير ندى
فاستقبلتها العين ساجية
وهفا اليها القلب مبتردا

ثم ما يعتم أن يذكر يوم سفره الى دمشق، فيقول:

ذكرا، وقد نعما بيومهما
يوماً أذاب الروح، والجسدا
العين كان الدمع يغرقها
والقلب أوشك أن يموت صدى

ويضيف الى ذلك:

والبحر دون الاهل مضطرب
لهديره بين الضلوع صدى
وكأنما أمواجه أسد
غضبى تواكب مثلها أسدا

لو سالمتني لاحتفيت بها
ومسحت عن أشداقها الزبدا
وسألتها نقلي الى وطن
للحب فيه والجمال مدى
أهلوه في عسر الزمان له
يسر، وفي ليل الخطوب هدى
كانوا لعين الفضل قرتها
اذ كان غيرهم لها الرمدا
نفحوا العروبة من شمائلهم
بفصاحة، وشجاعة، وندى..

هذا المطلع الشعري في طمأنينة الشاعر في وطنه، من أجمل المطالع الشعرية التي نقرأها اليوم، فقد جمع بين الوصف الحسي، والنفسي، يصف الشاعر هبوب النسيم على بردى وطمأنينته، كما يصف شوقه الى وطنه، وآله.. الوصف حقاً موفق، والسبك جزل، سلس..

وفي وطنه ينظر الشاعر فيجد أن الخصومات ما تزال تفرق بين أبناء أمته، ويتمنى لو اتحد العرب، اذن لقهروا أعداءهم، ومناوئيهم، فيقول:

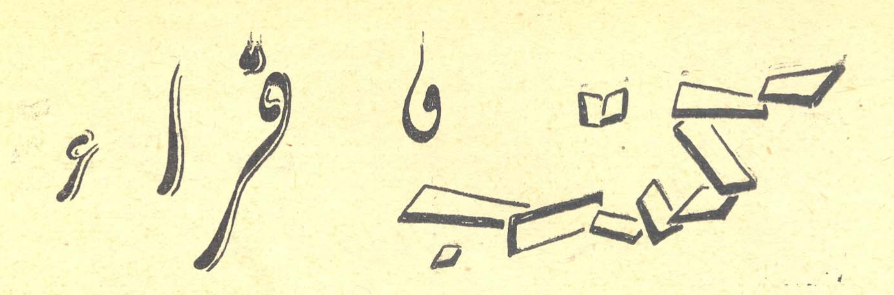
وطن العروبة آه يا وطني
لو كنت كالاوطان متحدا
لأفاد منك الشرق مفتخراً
ولعاد عنك الغرب مرتعدا
ولراح الاستعمار منهزماً
ما دق مسماراً، ولا وتدا
فاستوفت الدنيا كرامتها
واسترجع الانسان ما فقدا..

ينتقل الشاعر اثرها الى الحديث عن السياسة، وكيد الدول للبلاد، فيذكر أنه عف، حر، لا يمد يده لعدو جان، فيقول:

ولقد أقول لمن يجادلني
ويلومني ويلج منتقدا
هو صب أمريكا ويزعجه
أني أعد الظالمين عدا
أنا لا أمد يدي الى بلد
جان يمد الى الجناة يدا
دفع اللصوص الى منازلنا
ومضى يسوق اليهم المددا

يناجي الشاعر اثرها وطنه، فيحيي جهاده، ويحيي شهداءه، فيقول:

يا موطني، يا موطناً حسدت
أحياؤه في الساحة الشهدا
في ميسلون وقفت منفردا
فحملت ثقل المجد منفردا..



بين يدي كتابان وصلا الي فى آونتين متفاوتتين . ولم اتعمد ارجاء دراستهما انما تهيأ الوقت لدراستهما الآن والكتابان هما : «شموع الكهف» و « المفسدون فى الارض» واستعرض هنا دراسة موجزة عن كل كتاب وكاتبه ، محاولا تبيان مواطن الجودة ، وزوايا التقصير لكل منهما :

شموع الكهف

هذا الكتاب هو مجموعة شعرية تتضمن (٣٢) قصيدة فى خمس وتسعين صفحة من القطع الصغير والحرف العادي بورق صقيل وغلاف جميل .

شاعر الكتاب الاستاذ « نصرة سعيد » . كان استاذا لي حين كنت فى الابتدائي ، وكنت منذ تلك السنين أتعشق فيه ولعه لخدمة العلم والطلاب ، أعرفه يكتب ويؤلف في العربية وفي الفرنسية ، ولكن ان يقول شعرا فهذا أول ما عرفت منه ، وذلك حين قدم لي ديوانه فى مكتب ندوة الأدباء . فازداد في توقيرا وعلوا ، فعرفته ثانية وقد حلق النفس مسرور المطالعة .. قد عرض لنا نصرة سعيد النفس مسرور المطالعة .. قد عرض لندا نصرة سعي قصائده عرضا فيه أناقة وذوق . فبعد ان عرف الشعر وناجاه بأنه نديمه ومزماره :

أيها الشعر يا رفيق انزوائي
ونديمي في الذروة السماء
أنت مزمار نشوتي وانطلاقي
وأوار في ظلمتي وشتائي

طفق يوشح أشعاره بقصيدته « الاخوة العربية » جاعلا العرب أسرة تلاقى أفرادها بعد بين :

فتح الزمان عيونه وأفاقا
فرأى الأعارب أسرة تتلاقى

ويعدد أمجاده ، وانتصاراته على العدو ، ويشرح بسالة يوسف العظمة ، وأصدقائه ، حتى يقول :

والحق أن الشام مذ وجدت
معشوقة للمجد مذ وجدا ..
كم فوق هذي الارض من بطل
قام الزمان له وما قعدا
وطنية ، وحمية ، نمتا
في نفسه ، وترامتا صعدا
وهب العروبة كل ما ملكت
يده ، وأضنى القلب والكبدا
أفنى الفتوة مسرفاً بهما
وطفت كهولته فما اقتصدا
وتزيده الايام تضحية
وتزيده أيامها جلدا ..

لقد أجاد الشاعر حقاً ، وأطرب ، فالمعاني فائقة ، والاسلوب سلس ..

يعود الشاعر الى حديث قدومه الشام ، فيحمد الله على عودته الى الوطن ، فقد كان يرجو رؤيته ، وأسعده الدهر بذلك ، فوجده في ازدهار ، ورقي ، فيقول :

حمداً يعم الشام من رجل
حر اذا لمح الرضا حمدا
أسدت الي يداً حكومتها
وأنا ابن من يسدي الي يدا
قد كنت أرجو أن أرى وطني
يقظان يرفع للحجا عمدا
وبلغت ما أرجو فأسعدني
أني وجدت الدهر قد عقدا
فالشعب يغنم عيشه رغدا ،
والجيش يمنع بأسه البلدا ،
والامن بين الناس منتشر ،
والعدل يصلح كل ما فسدا ..
والخطة المثلى قد انتهجت ..
من ليس يرضى فليمت كمدا ..

فالشعب في رغد ، والامن منتشر ، والحكم عدل ، ومن ليس يرضى ، فليمت كمدا ! ..

اننا نحيي الاستاذ الياس فرحات ، شاكرين له أريحيته وفنه ، والحمد لله على سلامة عودته ، أدامه الله ذخراً للعروبة ، وفخراً للناطقين بالضاد .. والله الموفق ..

دمشق ــ عدنان ابن ذريل

وإذا بي أراه قد خاض في مضمار وطنياته ، دامجاً طبيعة دمشق الغناء بوادي النيل الظليل :

وإذا زهور الشام فاح عبيرها
فالنيل ، منتشياً ، يجوب الوادي

وأبهى قصائده ، حيث تزدحم فيها جودته ذلك حين يمسك ببنانه ريشته الباسمة يصف الطبيعة ورقتها كما في « الناعورة » خاصة و « الصفصافة » ، كما ان هناك قصائد حبذا لم يذكرها الشاعر ، أو لو أنه انتخب غيرها مثل « زيف » و « محموم » . أما رائعته فهي « ١٦ أيار » تلك التي تعبر عن روحه المتوثبة غيرة ودفاعاً عن الوطن المجيد . ففي ديوان القصائد الوطنية ، والاجتماعية ، والطبيعية ، والغزلية .. ومن وحي حبه لافراد أسرته . وفي ديوانه بعض الصور الجميلة كما في « ضجر » وذلك أيام تصليح أوراق الشهادة الابتدائية يصور فيها ضجر الاساتذة حين التصليح ، وقد ضحكت حين ختم القصيدة بشيء يبعد عنهم هذا السأم :

ولولا آنسات باسمات
لكان الفحص أسوأ ما ابتلينا

ولو تفحصنا الاسلوب لوجدناه متيناً .. بل متانته أكثر من شاعريته . ولا أعلم لماذا جعل اسم الاشارة « ذي » للمؤنث ويستطيع وضع « تي » في « بؤس » حيث أن « تي » خاصة للمؤنث و « ذي » تستعمل للمذكر بعد تحويلها عن « ذا » . كما أن هناك بعض التقصير في الاعاريض ، وفي انتخاب الكلمات مثل :

ومن قبل في كهفي الاسود
طموحي تلاشى وعزمي دفن

وهل أسأل الشاعر في الختام لماذا يختفي عن الوجود كشاعر ؟

المفسدون في الارض

الكتاب الثاني مجموعة من سبع قصص في / ١٤٨ / صفحة مع مقدمة واهداء . صاحبه « يوسف أحمد المحمود » طالب جامعي كان صديقي منذ أن دخلت الجامعة والى أن تركت الجامعة لا زال في صفه الثاني فهو كاتب قصة من واقعه الحزين بالصور الشقية ولكنه لم يكن موفقاً في اخراج الكتاب أيضاً . فالجلد بسيط جداً والرسمة عليه تضع من قدره والورق ورق جريدة والطباعة الاخطاء المطبعية فيها كثيرة ، وكثير من الكلمات أو الاسطر غائبة عن الوجود كأسنان جدتي ، لم يكن ذلك عن بخله فقد صرف عليه الكثير كما أخبرني ، انما يحاول أول محاولة دون ناشر ودونما استشارة ، ويهمنا مضمون الكتاب فلندخل الى القصص .

نشعر منذ الاهداء بل منذ العنوان أنه ناقم على البشرية ، وبخاصة على عدو العرب ، وعلى أجنبي لئيم فأبتسم لشباب أيقظتهم القومية ووهبتهم الحرية . وأفهم منذ المقدمة أنه شاب فاشل في حبسه — كما قص لي أيضاً — ، وفاشل في درسه ، وفي التحصيل المالي

وهذا ما ساعده على انماء القصة في روحه ، ولكن الكتابة سوداء وذات طابع الشقاء والتشاؤم وهو الذي قال عن نفسه : « أكتب عن شقاء لا سعادة ، عن ألم لا عن ارتياح » . وحين نقرأ « أعجوبة الدنيا الثامنة » نشعر أنه يترخ ظهور رئيسنا المفدى باستلام قيادة العرب وتقدمه ، وذلك بأسلوب طريف رشيق صادق في العرض كما شهدناه جميعاً في الجامعة وبين الشعب .. فهي سياسة بقالب أدبي . والملاحظات التي أراها على « العرس البعيد » أنه يخلط بين العامية والفصيح حين الحوار ، موفقاً تماماً حين السخرية ، ووصف الفقر والعذاب الا أنه أمام المواقف الغرامية الملتهبة مادي جامد التصوير .. يصف كأنه دون احساس أو باحساس جائع نهم . ويختم القصة دون مسبب فقد أغلق الباب دون من عانقها وقبلها دون أن يخبرنا سبب ذلك مع أنها أخبرته باستعدادها لتحمل المشقات معه ، وكأنه أجبر على ذلك حين وجد أن القصة قد طالت . أما « المفسدون في الارض » قصة عنوان الكتاب فانه يعرض فيها جل آرائه في الحياة وفي الدين ، وبعض حياته نفسه في القرية لذا جاءت صادقة حين تصوير الطفل النزق ، ولكنه ان وفق في العرض الا أنه لم يوفق في بعض المواقف ، فعنصر المفاجأة يطلع علينا كل لحظة . فأول مفاجأة هي عودة أبيه من المهجر دون أن يكون لنا سابق علم بذلك . لماذا لم يخبرنا بذلك ألم يكن يدري بسفره هو أيضاً ؟ وبعد أسطر يفاجئنا بموت أخيه الاكبر منافسه بعد مرض دام سبعة وثلاثين يوماً وهو صغير . أيستطيع هذا الطفل الذي لم يذهب الى شيخ القرية ليتعلم أن يعد الايام بهذه الدقة ؟ .. ولكنه يفاجئنا ثالثاً بأن أباه علمه صنع الاحذية . متى كان ذلك ؟ .. هل قبل ذهابه الى المهجر ؟ أم بالمراسلة ؟ .. نحن نعلم أن صنع الاحذية الجديدة يتطلب مدة تكفي لأن تصير شاباً .

كنت أعرف « يوسف أحمد » أنه لا يؤمن بالله ويهزأ بصحبه اذا قال أحدهم « ان شاء الله » أو « الله الموفق في الفحوص » ، ولم يكتف بذلك بل أشار ووضح في قصته هنا فهو لا يؤمن أن الله خالق البشر ، ويصر على أن جده السيد « قرد » فيقول : « أبي لا يؤمن بأن السماء — ولم يقل الله — هي مصدر الخليقة ، وأنا أومن بأن الارض هي المهد الاول للخليقة » . وأظن أن أنكاره هذا راجع الى حياته السوداء وعدم توفقه في فحصه ، وفي بنت الحلال .

انا قد أعجب بطريقته التشاؤمية في قصصه ، ولكنني سأملها حين أشعر أنه يسير على « روتين » واحد .

وإذا عدنا الى الاسلوب فاننا سنقف أمام أخطاء كثرتها بكثرة الاخطاء المطبعية . ولا يمكن أن تكون منها لان الافعال الخمسة عنده تأتي بلا نون « الذين يحيطوا ... » و « الجماهير لا تكاد تصدق عيونها » وهذا خطأ فيجب أن يقول : « الجماهير تكاد لا تصدق عيونها » . والبطء عنده يكتبها بياء هكذا « البطيء » ، والمثنى ينصبه بالالف

« لا نرى الام والولدان » والمضارع المعتل بالواو يأخذ عنده ألف فارقة التي تدخل على واو الفاعل « نفذوا » الى غير ما هنالك والمجال ضيق . ثم ان كثرة قراءته للترجمات الحرفيـة واشتغالـه بترجمة بعض القصص أظهرت بعض الجمل مفككةليس فيها ترابط . ثم نراه يكثر في التشبيهات كثرة غير موفقة وقلتها بديعة فيبعدنا بهذا الاستطراد عن جو القصـة فنرى في ص / ٤٥ / ثلاثة تشابيـه في أربعة أسطـر .

والذي أراه ليوسف أنه كاتب قصة ما في ذلك من شك، ولكنه قصاص محتاج الى مطالعـة طويلة من كتب الادب القديمة الدسمة ، محتاج الى البسمة للحياة ، والانتظار قبل أن يطبع كتابه الثاني مدة تكفي لأن يتثقف من الحياة الثقافة الكافية ، ثم ليؤمن بالله فلا أريده أن يحقق نظرية داروين .

محمد التونجي ــ حلب

نظرة في أعماق الانسان

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمـة

نقد : النطاسي الكبير الدكتور حسني سبح

قل من العلماء الأدباء في بلادنـا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعـات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعـة ما عداهـا من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعني بما يروي غليل جمهرة القراء ويسري عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلميـة المحضة فليس لها غير المضطر اما في ابان سني الدراسـة واما في ما يليها من متابعة في بعض الاحيان .

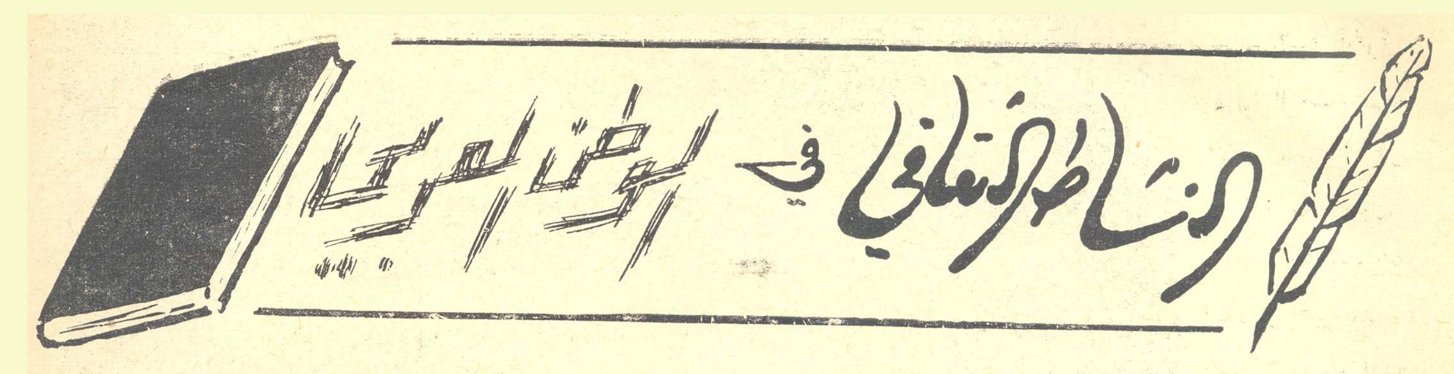
وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً لا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، اذ ليس لمن يقـع بين يديه من عامـة الناس (ولا استثني الا بعض خاصتهم) الا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديق في عناوين بحوثـه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وادراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف مـن جهـد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاتـه ليستسيغها غير الاطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، الا بعض الشذرات الادبية والشعريـة التي تخللتهـا فكانت بمثابة الافاوية والمشهيات التي تضـاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لـكي تزيد من الشهـوة اليـه أيضاً . وذلك لان ما حواه الكتاب قد صهر فيبودقة واحدة الطب وعلوم الاحياء والفلسفة صهراً كان نتاجـه ما يستغلق فهمه الا على الراسخين في تلك العلوم .

وطبيعي ان لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التآليف الا ذو بسطة في علوم الطب والاحياء والفلسفة والأدب ، وهـذا لعمر الحق ما تحلى بـه زميلنـا الفاضل الدكتور محمد صبحي أبوغنيمة مؤلف (نظرة في أعماق الانسان) . واني لأكبر عمله هـذا أعظم الاكبـار لتجشمه الكثير مـن الصعاب في سبيل تأليف هذا الـكتاب الذي يعد حقـاً نسيج وحده ، وقـد خلت من أمثالـه المكتبات العربيـة ونضب معين مصادر ما كان على شاكلتـه من المؤلفـات ، بين أبناء لغـة الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضـل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن يولي وجهه شطر المؤلفات الاجنبيـة وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها من الالمانية وبعضها من الانكليزيـة والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجـع العربيـة ، فضـلا عما وعته ذاكرتـه من آراء ومساجلات لاساتيذه في جامعـة برلين ابان دراسته الطب فيها . والى جانب هذا الجهـد الادبي الذي لا يقوم ، فقد بـذل الزميل جهداً آخر ماديـاً ليس بالقليل لالباس مؤلفـه ما يستحقه من حلة قشيبة بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الاشكال والرواسم التي زين بها ناهيك بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربيـة وانتقاء الالفاظ والمصطلحات فيها .

وعندما طلب الي أن أعرف بهذا الكتاب خلتني في بادىء الامر أستطيع أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيـل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيـه من عناوين ، ومـا ان حاولت ذلـك حتى رأيتني ملزمـاً بقراءة الكتاب لا قراءة معرف وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد مـن ألفـه الى يائه حينما أجد الى ذلك سبيلا ، مما أدى الى التـأخر في التعريف في الوقت المضروب فحقت المعـذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الانسـان ، وقصـة الانسان كانت ولم تزل وستظل أعجب وأغرب قصة في هـذا الوجـود) ويفتتـح بحوث الكتاب بسرد مشاكـل الطب في العصر الحاضر ، واخفاق العلاج في كثير من الادواء سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال ادراك حقيقته من العلل مستغلقاً، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطـب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلا علميـاً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الامراض والشفاء ثم البحث في أسباب الامراض من داخلية وخارجيـة ، واضطراب تطور مواد الغـذاء الرئيسيـة (الآحينات ومـاءات الـكربون والادهان وأشباهها والمعدنيـات) ويلي ذلـك البحث في النفس وما قيـل عنهـا في القديم وما يقـال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آليـة ظهور الامراض والعلل، والتعمق في جهاز الاثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الاثارة وتطوراتها وأهدافها ثم الهبنوزة (النوم المجلوب) منتهيـاً الى ذكر النكتة وعملها الطبي .

ويختم المؤلف هـذا الجزء الاول من هـذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها : **بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والانساني فأنقـل الى قراء العربيـة أقوال**



ستدفع الدولة للفنانين والأدباء فى الاقليم الجنوبى بدل تفرغ حتى يتمكنوا من الانتاج بعيدا عن العوائق المادية والاجتماعية .. اصدر السيد ثروت عكاشه ، وزير الثقافة والارشاد التنفيذي للاقليم المصري ، قرارا وزاريا باعتماد اللائحة الداخلية لتفرغ الفنانين والأدباء ، قررت اللائحة مبلغا يتراوح بين ٣٠ــ٥٠ جنيها للناشئين وبين ٥٠ــ١٠٠ جنيه للممتازين ، الغرض من ذلك هو تمكين الأدباء للتفرغ الكامل للانتاج .

* ستقام سوق للكتاب العربي في أحد الميادين العامة بالقاهرة ، وذلك لجمع الانتاج الفكري لأدباء ومفكري الجمهورية العربية المتحدة ، ينظم هذه السوق المجلس الاعلى لرعاية الشباب .

* من الأدباء الذين رشحوا انفسهم لانتخابات الاتحاد القومي فى الاقليم الجنوبى الناقد الدكتور محمد مندور ، ومن الاقليم الشمالى السيدة وداد سكاكينى والدكتورة طلعة الرفاعى .

* جمعية الأدباء العرب ستقيم مهرجانا أدبيا كبيرا بمناسبة افتتاح مقرها الجديد فى دمشق .

* (البرنامج الثانى) فى اذاعة دمشق ، برنامج جديد كسميه فى اذاعة القاهرة ، سيذاع على موجة البرنامج الغربي ، الموجة القصيرة ، وهو برنامج فكرى أدبي موسيقي

* اكتشف الدكتور صلاح الدين المنجد ، عضو مجمع اللغة العربية ، ومدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية مخطوطات عربية نادرة يرجع تاريخ بعضها الى ١١٠٠سنة منها كتاب (العرجان والبرصان) للجاحظ، و(انساب العرب) للسدوسى ، وكتب أخرى فى الأدب الحديث والتاريخ والنحو واللغة . وأهم مكتشفات بعثات المعهد الحديث كتاب (سيبويه) .

* أصدر محمد مصطفى عطا كتابا جديدابعنوان(الحركة العاقلة) يناقش فيه نظرية توفيق الحكيم التى شرحها فى كتاب (التعادلية) ، ويحاول الاستاذ عطا ان يعرض وجهة نظر جديدة فى تفسير الحياة يعارض بها توفيق الحكيم.

العلماء المجددين في الطب عما يرونه في أعماق الانسان من غرائب و « الفكر » التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكرة من مفاهيم تصح في رأيي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما استوحي منها فمعروض للبحث والتمحيص ورحم الله امرءاً أهدى الي عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الانسان ويكفيني ويكفي القاريء في مثل هذه الحالة أن نتمثل بصادق قول حكيمنا العربي:

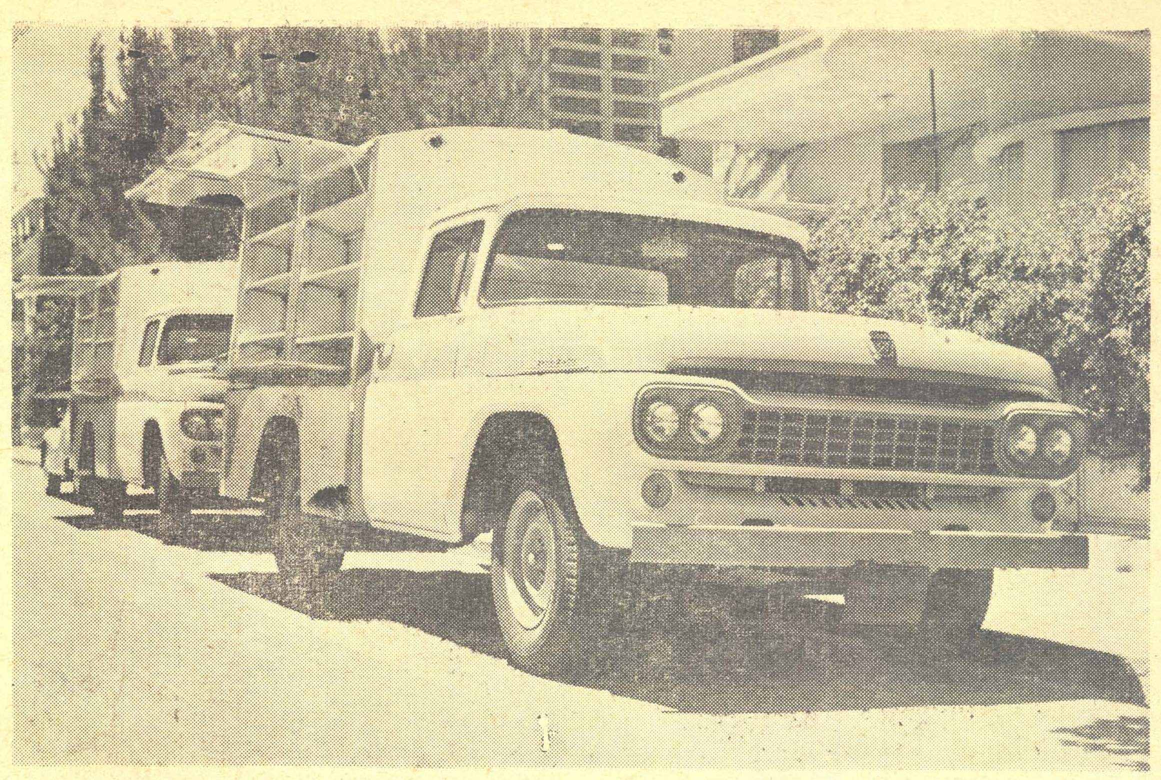
داؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة أنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والالفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الالمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الاجنبية الاخرى بينما المستحسن في هذا المضمار اختيار اللفظ الاهون من احدى اللغات ، كما ان بعض الالفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فنراه يستعمل تارة الرثية وأخرى الروماتيزما وريماتيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القاريء ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكزز وترجم كلمة Stress تارة بحادث نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ Effect في موضع آخر ، وذكر الازمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الامل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهنيء الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبح

* مأثرة أخرى لوزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري الى جانب مآثرها الكثيرة هي هذه السيارات المتنقلة لتثقيف أهل القرى والارياف بالكتب والسينما وعرض سائر وسائل التثقيف . فللوزارة التقدير والاحترام .



* وضعت اللجنة التى ألفها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والأدب بالقاهرة مبادىء تحرير العقود بين الهيئات الحكومية والمؤلفين والفنانين ، بحيث تتلاءم نصوصها وقانون حق المؤلف ، أهم هذه المبادىءان تكون العقود للاتفاق لا للتنازل ، اللجنة مؤلفة من عباس محمود العقاد، وعزيز اباظه ، وفهدى علام ، وابو بكر خيرت .

* اخراج موسوعة الفقه الاسلامي التى تعني بنشرها كلية الشريعة بالقاهرة ، موضوع اهتمام جدى .

* الدكتور شكيب الجابرى ، رئيس جمعية الأدباء العرب يكتب رواية جديدة .

* مطاع صفدى ، يعد روايته الجديدة (جيل القدر) للطبع .

* دار (اردور) للتأليف والنشر ، تفاوض جان الكسان لشراء مخطوط روايته (اعواد البنفسج) لترجمتها الى اللغة الارمنية وطبعها .

* أحمد شوقى ، أمير الشعراء سيتربع فى قلبروما الى جانب فكتور هوغو وجيتيه دبايرون .. سيكون تمثال شوقى أول تمثال لأديب عربي يقام فى أوربا ، سيصدر عنه كذلك أول كتاب بالايطالية ، وسيضم الكتاب فصولا من مسرحياته .

* تسهيلا لمهمة بعض أدباء الجمهورية العربية المتحدة ، الذين يعتزمون اصدار مجموعة من الكتب لتخليد شهداء النضال العربي في الاقليم الشمالي ، عسكريين ومدنيين ، فقد وجهت وزارة الثقافة والارشاد القومي بالاقليم السوري كتاباً الى قيادة الجيش الاول تطلب فيه موافاتها بأسماء شهداء الجيش الذين سقطوا في المعارك الحربية ، وخاصة معركة طبريا التي وقعت في كانون الاول عام ١٩٥٥

* يصدر زكي طليمات كتاباً عن تطورالمسرح وفن التمثيل ويتولى مجلس الفنون والآداب نشر الكتاب .

* يحتفل بذكرى الكواكبي في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني القادم ، سيدعى الى الاحتفال كل المهتمين بالدراسات العربية من شتى أنحاء العالم .

* أصدرت الاديبة السيدة وداد سكاكيني كتاباً جديداً اسمه (سواد في بياض) ضمت فيه مجموعة من المقالات الادبية والاجتماعية والقومية .

* دار الوعي العربي بدمشق اصدرت كتاباً ضم عشر قصص لعشرة من قصاصي الاقليم الشمالي ، اسم الكتاب (قصص عربية) .

* الدكتور طه حسين ، كان (فارس) أسئلة شهادة تاريخ العرب والاسلام بكلية آداب دمشق ، اذ ورد عنه سؤالان الاول عن رأيه في (أن الادب الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية) والثاني عن بيت من الشعر أورده في أحد كتبه وهو :

ياسعد لا تجب الدعاء فمالنا
نسب نجيب به سوى الانصار

* يوسف ادريس ، كاتب القصة القاهري ، ثائر ، لان أكثر الادباء لم يقرأوا روايته الاخيرة .

* توالي الاديبة السيدة الفت عمر باشا الادلبي ، اقامة ندوات أدبية شهرية في بيتها بالمهاجرين .

* الشاعر المرحوم عبد السلام عيون السود ، تنادت لجنة خاصة لجمع وطبع آثاره الادبية .

النشاط الثقافي في الغرب

* عفا الفاتيكان عن الكاتب (فكتور هـوغو) ، وأصدر قـرارا بتبرئته .. ورفعت قصة (البؤساء) من قائمة الروايات المحرمة ، القائمة وضعت منذ ٩٥ عاما .

* كتاب (الحب والجنس) للكاتبة الانكليزية أديث وورد، منعته السلطات فى بريطانيا من التداول ، كانت الجمعية الطبية فى لندن قد اعلنت ان هذا الكتاب يحمل للانحلال الصحى والخلقى ، تم توزيع ٤ ملايين نسخة من الكتاب قبل مصادرته .

* جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركية السابق اوصى بجميـع المخطوطات الادبيـة النـادرة فى مكتبته لشقيقه ألن دالس .. المكتبة تحوي عشرة آلاف كتاب .

* (الاسلام والعرب) كتاب وضعه (روم لانداو) ، الكاتب الامريكى ، تحدث فيه عن تاريخ التمدن العـربي ولانداو مؤلف لاربعين كتابا من بينها (فلسفة ابن عربى)

* عين الشاعر ستشيبا تشيف رئيسا لاتحاد الروس فى المكان الذى كان يشغله ك. أ. فدين .

* كتاب جديد لجاك لانزمان اسمه (طاغية على الرمال) صدر حديثا ، يتكلم فيه عن بلاترو فيللو .

* كتاب الدوس هكسلى (عودة الى طيبات العالم) ، ترجمه الى الفرنسية دينس مونييه ، وهو نقد للحياة الحديثة .

* ارنست همنجواى ، انتهى من تأليف كتاب جديد لم يضع له عنـوانه . . اخر كتاب اصدره كان (الشيخ والبحر) . .

* جان بول سارتر أجاب على سؤال وجهه اليه مندوب (الجورنو) الايطالية عن الكتاب الايطالي الذي كان لـه تأثير على أدبـه ، فقال : أديبان هما يتالو ستيرو وسيزار بافيـز .

* قام الاتحاد السوفياتي بترجمة ٢٥ كتاباً امريكياً هذا العام .

* تقوم أكاديمية الاغنيـة الفرنسية باصدار قاموس جديد ، وهو يشمل الاغاني من ١٩٠٠ حتى اليـوم . .

* ميشيـل كورنو الف كتاباً اسمـه (اولاد العدالة) ، وهو يتحدث فيه عن حياة المراهقين ومشاكلهم ، وقد اثار هذا الكتاب ضجة في باريس .

* هالدور لاكسنس ، الكاتب الايسلندي الحائز على جائزة نوبل عن قصته (سالكافالكا) ، قال لاحد الصحفيين الذي سألـه عن مقدار شعوره بالفرح عند قبض مكافأة جائزة نوبل المادية : لم أفرح كثيراً ، لانني كنت أعرف أن الحكومة عندنا تأخذ نصف المبلغ كضريبـة ..

* الكاتب الوجودي الفرنسي بوريس فيات ، مات في باريس هذا الاسبوع بسبب نوبة قلبيـة أصابته وهـو يشهد عرضاً خاصاً لفيلم أخذ عن مسرحيته المسمـاة (سوف أبصق على قبوركم) .

---

* انتهى الشاعر خليل الخوري من نظم قصيدته الجديدة (أحزان سندباد) ، القصيدة تقع في الف بيت ، وصفهـا الذين اطلعوا على بعض مقاطع منها أنها ناجحة .. سيتقدم بها الشاعر الى الدكتور أمجد الطرابلسي وزير التربيـة والتعليم ليكتب عنها دراسـة ونقداً .

* الشاعر أحمد عبد المعطي الحجازي يعتزم اصـدار ديوانـه الثاني .

* رسالة تحليلية عن الشاعر المرحوم عبد الرحمـن شكري ، يعدها عبد الرحمن صدقي وعلي أدهـم ... تعتبر هذه الرسالة مقدمة لنشر مؤلفات الفقيد التـي يشرف المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون على اخراجها .

* تم تشكيل لجنـة لاختيار القصائد الخاصة بموضوع الوحدة العربيـة ، وستفرغ من مهمتها قريباً ، القصائد المختارة ستنشر في مجلد ضخم .

* قدم سورية الامير صقر بن سلطان حاكم الشارقـة فخف أصدقاؤه ومعارفه للترحيب به ، والامير صقر شاعر عربي مطبوع ، له ديوانان مطبوعان هما الفواغي ، ووحي الحـق ..

* دفع الامير صقر بن سلطان بديوان جديد الى المطبعة وهو من الشعر الوطني ، الحماسي ، وعنوانه أشـواك .

* ترجم عدنان ابن ذريل كتاب الديمقراطية لبرتراند رسل ، وسينشر قريباً في دار عويدات في سلسلـة منشوراتها في بيروت .

* سيدفع عدنان ابن ذريل الى المطبعة قريباً كـتاباً جديداً في البلاغة ، عنوانـه الأسلوب ، وكتاباً في النقد عنوانـه أحاديث ، وكتب ..

* مختارات من الشعر العربي ستترجم الى اللغات الاجنبية ، المجموعة الاولى من الشعر المقترح ترجمته ، تم اختيارها من شعر الفترة التي تبدأ بالبارودي ، وتنتهي بالحرب العالمية الاولى .

* (خطوة نحو الحرية) كتاب جديد ألفه مارتن لوثركينج ، وهو زنجي اميركي .. موضوع الكتاب عن حادث الفتاة الزنجية التي كانت تستقل الاوتوبيس فأمرت بالقيام من مكانها كي يحتله أبيض ، ولكنها رفضت ، ثم كانت ثورة . وكان كتاب .

* أخطار الاشعاع الذري وطرق الوقاية منه ، ستشرحها مجموعة من القصص والكتب العلمية في أميركا ، يتعاون قسم البحوث الطبية في واشنطن مع الهيئات الادبية هناك على اصدار هذه المجموعة .

* (أمريكا في شك) كتاب جديد ألفه الكسندر ويرث وهو أشهر صحفيي امريكا الذين تخصصوا في كتابة التحقيقات الصحفية منذ ثلاثين عاماً ، في الكتاب حقائق من أمريكا الحديثة لم يسبق نشرها .

* الكسي ازدبي ، زوج ابنة خروشوف ، رئيس الاتحاد السوفياتي عين رئيساً لتحرير صحيفة ازفستيا ، عمره ٣٤ سنة وهو أديب مطبوع .